

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY  
3 8534 00858 5980



AUG LIBRARY

V. DU



PJ  
7828  
K52  
T28  
1955

عسر الرمال انه العتيف  
وكيل ورده التوامه لشون الحفلات



عشر القوم - الفاعل - (مما كان له العلم) (العلم)

طالب يدرس في المدرسة (مما كان له العلم)

سبحه العبد (مما كان له العلم)

للمعلم الشكر (العلم - مما كان له العلم)

لقد علمنا "العلم" "شأنه" "مما كان له العلم"

ما هي التعادلية ؟

الواحد الصحيح = صفرا

الحياة الايجابية تبدأ من العدد اثنين ،

كل حركة يجب أن تقابلها وتعادلها حركة .

كل قوة يجب أن تقابلها وتعادلها قوة .

الله وحده هو الواحد الاحد الكامل بذاته <sup>P</sup> . ومع ذلك

أوجد بأرادته تعالى قوة أخرى مقابلة هي قوة الشيطان ،

كي تبدأ الحياة البشرية في التلون والتحرك .

وخلق الله آدم واحدا صحيحا . فكان وجوده سلبيا .

فصنع منه اثنين . ووجد آدم وحواء .

وعندئذ اتخذ الوجود حركته الايجابية .

والشمس بمفردها قوة سلبية . ولكنها انقسمت إلى

كواكب أخرى ، تتعادل وتتوازن لتقاوم وتبقى ، فبدأت

في الكون الحركة الايجابية .

قوة السلطان المطلق حركة سلبية . ولا بد من حركة

مقابلة معادلة هي قوة المحكوم ، لتبدأ في المجتمع حياة إيجابية

وهكذا... وهكذا...

تلك هي التعادلة في جوهرها .

خلاصتها أن الواحد الصحيح وجود سلبى .

هو خطوة بعد العدم . هو من حيث الحركة الإيجابية صفر . لأنه لا يقاوم غيره ولا يجد غيراً يقاومه . وبانعدام المقاومة تقف الحركة .

الحياة الحقيقية لا تبدأ إذن إلا من العدد اثنين .  
والكى يظل العدد اثنين موجوداً دائماً ، يجب أن يحافظ كل واحد فيه على قوته الخاصة . فإذا تضخم واحد على حساب واحد . أو ابتلعت قوة أحدهما قوة الآخر ، رجع العدد ٢ إلى واحد صحيح . أى إلى الوجود السلبى .

التعادلية إذن تفسر الحياة الإيجابية بأنها ضرورة وجود جملة قوى متقابل وتوازن فى الكون والمجتمع .

هـ وأن العدم يبدأ بابتلاع جميع القوى فى واحد صحيح .  
الواحد الصحيح هو السكون .  
والأعداد المختلفة المقابلة هى الحركة . . . . . هى الحياة  
تلك هى التعادلة .

هى فلسفة الحركة أى الحياة .

احتفظ بقوتك الخاصة مستقلة حرة ، لتعادل بها وتقابل القوى الأخرى التى تريد أن تبتلعك . بذلك تقاوم وتحرك وتحيى !

التعادلية هى مقاومة الابتلاعية .



إذا كان لديك ضعف و نقص ، فابحث جيدا في انحاء  
 نفسك ، فستجد فيها قوة خفية معادلة و زيادة كامة مقابلة ..  
 عادل وجودك كما ، فعلت ارضك ازاء الشمس ..  
 و ازن نفسك تجاه القوى المواجهة .. و إلا ابتلعنك في  
 جوفها ، و أصبحت لها وقودا و طعاما .. و صرت عدما ..  
 هكذا تقول التعادلية ..

كل قوة تتضخم تريد ابتلاع غيرها . الرأسمالية تريد  
 ابتلاع العمل . الاستعمار يريد ابتلاع الشعوب . الطبقة  
 القوية تريد ابتلاع الامة كلها . الغرب يريد ابتلاع الشرق .  
 التعادلية هي الفلسفة المقاومة للابتلاعية .

• • •

اقرأ تفصيلات هذا المذهب في كتاب

**التعادلية توفيق الحكيم**

يطلب من

**مكتبة الآداب - باجما ميزث ٢٧٧٧**

ومن المكتبات الشهيرة

من النسخة خلاف أجرة البريد عشرون قرشا



el-Hakim, Tawfiq.

el-Ta'aduliyah

توفيق الحكيم

72-8-03

put Jan 2



# التعاضلية

مذمبي في الحياة والفن

الفاشر : مكتبة الآداب بالجمايز ت : ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية

٦ سكة الشاوي في الجاهية الجديدة

OCLC  
43171575



B 11596870  
133 00374

٨١٤,٦  
ح. ت. ع

45392



## تابع الكتب التي نشرت في اللغة العربية

المجلد الأول : ويشمل قصص : بحر الشجرة ، نهر الحنون ، روضة في القلب ، جنسنا الطيف ( مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧ )	مسرحيات
بالاشتراك مع الدكتور طه حسين ( مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦ )	القصر المسحور
المجلد الثاني : ويشمل قصص : عرواح من حب و المهيمه أمام شباك المذكر ، الرمار - حياه تحطمت ( مبعده له التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧ )	مسرحيات
المسرح الأول : ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧ )	
المسرح الثاني : خطاب وزارة المعارف العمومية ( مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده - مصر عام ١٩٣٧ )	يوميات نائب في الأرياف
الطبعة الثالثة : ( مطبعة مدرسية ) ( النموذجية ١٩٤٩ )	
الطبعة الرابعة : ( النموذجية ١٩٥٣ )	
الطبعة الخامسة : ( مدرسية ) ( النموذجية ١٩٥٤ )	
الطبعة الأولى : ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ )	عصفور من الشرق
الطبعة الثانية : ( مطبعة التوكل عام ١٩٤١ )	
الطبعة الثالثة : ( مطبعة التوكل عام ١٩٤٣ )	
الطبعة الرابعة : ( المطبعة النموذجية عام ١٩٥١ )	
الطبعة الأولى : ( مطبعة التوكل عام ١٩٤٣ )	سليمان الحكيم
الطبعة الثانية : ( المطبعة النموذجية عام ١٩٤٩ )	
الطبعة الأولى : ( مطبعة التوكل عام ١٩٤٣ )	زهرة العمر
الطبعة الثانية : ( مطبعة التوكل عام ١٩٤٤ )	

## تابع الكتب التي نشرت في اللغة العربية

- |   |                  |
|---|------------------|
| { ( مطبعة التوكل عام ١٩٤٥ ) .                         | وصاية في القلب   |
| { ( مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٤ )                          | الرباط المقدس    |
| { ( مطبعة المعارف عام ١٩٤٥ )                          | حماري قال لي     |
| { ( مطبعة التوكل عام ١٩٤٥ )                           | شجرة الحكم       |
| { ( المطبعة الترمذجية عام ١٩٤٩ )                      | ملك أوديب        |
| { المجموعة الأولى والثانية ( مطبعة دار سنة مصر ١٩٤٩ ) | قصص توماس الحكيم |
| { ( المطبعة الترمذجية عام ١٩٥٠ )                      | مشرح لمجمع       |
| { ( المطبعة الترمذجية عام ١٩٥٢ )                      | من الأدب         |
| { ( مطبعة المعارف عام ١٩٥٣ )                          | ذكريات من القصص  |
| { ( المطبعة الترمذجية عام ١٩٥٤ )                      | ربي الله         |
| { ( مطبعة دار الهلال عام ١٩٥٣ )                       | عصا الحكيم       |
| { ( مطبعة روز اليوسف عام ١٩٥٤ )                       | دوت الساعه       |
| { ( مطبعة روز اليوسف عام ١٩٥٤ )                       | أملات في السياسة |
| { ( المطبعة الترمذجية عام ١٩٥٥ )                      | العاديه          |



## كتب لل المؤلف

## نشرت في لغة أجنبية

- ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج  
لكوت عصر الأكاديمية الفرنسية . في دار نشر بوبل  
ابديسون لاتين وترجم إلى الإنجليزية ونشرت  
مختارات منه في دار النشر ( يلو ) بلندن ثم في دار  
النشر ( كراون ) نيويورك . في عام ١٩٤٥
- ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٣٥  
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ في دار ( لاسكيل  
لنشر . والألمانية ونشرت مختارات منه في لندن  
عام ١٩٤٢
- ترجم ونشر بالروسية عام ١٩٣٩ ( طعة أولى ) وفي عام  
١٩٤٢ ( طعة ثانية ) وترجم ونشر باللغة الدنماركية عام ١٩٤٥  
وترجم ونشر باللغة الإنجليزية في ( دار هارقل ) لنشر  
بلندن عام ١٩٤٧ وترجم إلى الأسبانية في مدريد عام ١٩٤٨
- ترجم ونشر بالروسية عام ١٩٤٠ بمقدمة ياريجي  
جاستون فييت الأستاذ بالكوليج دي فرنس ثم ترجم  
إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥
- ترجم ونشر بالروسية عام ١٩٤١
- شهر زاد
- عودة الروح
- يوميات نائب  
في الأرياف
- أهل الكهف
- عصفور من الشرق

## تابع الكتب التي نشرت باللغة الأجنبية

بماليوب	:	ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
أوديب	:	ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
سليمان الحكيم	:	" " " " " " " "
نهر الجنون	:	" " " " " " " "
عرف حكيم يحوب	:	" " " " " " " "
المخرج	:	" " " " " " " "
بيت التمل	:	" " " " " " " "
الزمار	:	" " " " " " " "
دار نشر بومل ابيديون لاتين باريس		
مشكلة الحكم	:	ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٣
السياسة والسلام	:	" " " " " " " "
الديكتاتور في خطر	:	" " " " " " " "
يوم وليلة	:	" " " " " " " "
المنى الهادي	:	" " " " " " " "
أريد أن أحي	:	" " " " " " " "



## تابع الكتب التي نشرت باللغة الاحدية

الساخرة	:	ترجم وصدر باللغة العربية في باريس عام ١٩٥٣
دقت الساعة	:	" " " " " " " "
أنشودة الموت	:	" " " " " " " "
لو عرف الشباب	:	" " " " " " " "
الكنز	:	" " " " " " " "





هذه الصفحات ليست سوى إجابة عن سؤال .

إجابة موحزة عن سؤال مهم ، وجهه إلى قارىء جاد

وقد جعلت إجابتي للشر ، لأنها قد تلقى ضوءا على

مكتبي التي نشرت .

نعم هي بعد ذلك تحمل تحديدا لوضع ، يمكن وصفه

بأنه مذهبي في الحياة والفن .



تسألني ما هو مذهبى فى الحياة والفن ؟ . وتقول إنك  
قرأت كل كتبى وخرجت منها بعقيدة : هى أنها فى مجموعها  
تحاول تفسير الإنسان ، فى وضعه العام من الكون بزمانه  
ومكانه ، وفى وضعه الخاص من المجتمع بأجياله وبيئاته ،  
وأن هذا التفسير يدل على اتجاه ، يمكن وصفه بالمذهب ،  
لو كان فى المقدور استخلاص أسسه وقواعده ، وهو  
ما تسألني أن أقوم به .

أعترف أنى سررت لقولك هذا وعجبت . . . سررت  
لأنى أحب القارىء الذى يستكشفنى وعجبت لأنى لم أفكر  
حتى اليوم فيما فكرت أنت به . ولعل السبب هو أنى  
أكره الفن الذى يبنى على مذهب ، ولا بأس عندى أن يبنى  
المذهب على الفن . لأن الفن هو الكاشف الخمر عن أسرار  
الكون . وهذه الحرية فى الأحساس والشعور والبحث



والفكير كانت هي وسيلتي الأولى . أما وقد كتبت ما كتبت  
بهذه الحرية ، فإن المذهب الذي يمكن أن يستخلص من  
هذه الكتابات لا يضيرني ولا يقيدني . ومادمت تدعوني أن  
أبحث عن هذا المذهب أو هذا الاتجاه بين هذه الكتب فلن  
أحجم . سأحدث إذن على أساس فكرتك

أولا — وضع الإنسان في الكون .

ثانيا — وضع الإنسان في المجتمع .

ما هو الإنسان أولاً ؟ ... هذا سؤال قديم قدم  
التفكير الآدمي ... جديد ما بقى التفكير الآدمي في هذا  
الكون ... فالإنسان مضافاً إليه التفكير يولدان حتماً هذا  
السؤال ... ومادام السؤال قد ألقى فلا بد له من جواب ...  
وهذا الجواب هو كل ما تحاول صياغته ، في أبواب متجددة  
حدة الأيام والليالي ، كل علوم الأرض وفلسفاتها وفنونها  
وآدابها . وهذه المحاولات لا بدري أحد مصيرها . لأن  
الجواب لا يمكن أن يكون قاطعاً مادام السؤال غامضاً .  
والسؤال غامض لأنه وليد أسئلة غامضة وهما : الإنسان  
والتفكير . وإذا كانت القرون تولى والسؤال يلقى في كل  
يوم : ما هو الإنسان ؟ ... ما هو التفكير ؟ ... فهل  
نطمع في حل نهائي لهذه الأسرار ؟ .

ما أظن أحداً يأمل في حلول نهائية أو إجابات قاطعة ...

إعنا المطلوب هو الاجتهاد في الملاحظة والتفسير . كل  
من زاويته . وكل بوسيلته . وكل بأسلوبه .

هذا كل ما نستطيع . وهذا كل واجتنا . ولا ينبغي أن  
ترك الوجود دون أن نلقى على أنفسنا السؤال : ما هو  
الإنسان ؟ ... وأن نحاول إيجاد تفسير ...

وهما يدخل العرص للمعاونة ... . يجب أن نفترض  
حقائق نسلم بها حتى نستطيع السير في هذا الليل الهيم ...  
ولولا الفرض في الفلسفة والعلم لما كان هناك تقدم نحو أى  
تفسير لأى ظاهرة من الظواهر .

فلا نفرض مؤقتاً أن الإنسان لا يحتاج إلى تعريف . إنه  
ذلك المخلوق المعروف لنا جميعاً الذى يعيش فوق هذه  
الكرة الأرضية .

ولا نفرض مؤقتاً أيضاً أن التفكير هو حركة الوعى  
الدائى فى اتجاه منظم متسلسل أى منطقى .  
هذا المخلوق المفكر الذى يسأل عن حقيقته .



ما صفة له ؟ ... أول صفة لا تنفس ذلك هو أنه يعيش على  
عمدة الأرض ... إذن لابد أن يكون فيه وبين الأرض  
صلة ... أو مشاركة في صفة

ولكن ما هي الأرض ؟ ..

حرحح... من سؤال عسير إلى سؤال أعسر ...  
فلنضع بأنهم صفة للأرض ... وهي أنها كره تدور  
أدور أو التعادل بينهما وبين كره أصحم هي الشمس ...  
فيذا احرك هذا التعادل اتلفتها الشمس أو صاغت في  
الفضاء ... التعادل إذن هو الحقيقة الأولى لحياة  
الأرض .

فمن سمع سعد في أرض الحقيقة الأولى في بيان  
الإنسان ؟ ..

فدعنا أولاً كيف يعيش الإنسان من حيث هو كأن  
مادى ؟ ... إنه يعيش ضيق بالشمس  
ما هو التنفس ؟ هو حركة تعادل بين ما يبق و يفر .

فإذا اختلف هذا التعادل بأن طال الشهيق أكثر مما يسفى طاغياً  
على الزفير أو امتد الزفير أكثر مما يسفى جانراً على الشهيق  
وقفت حياة الإنسان وإذا تركنا التركيب المادى إلى التركيب  
الروحى ، وجدنا عين القانون .

فالتركيب الروحى للإنسان له هو أيضاً شقيقه وزفيره .  
فيما يمكن أن يهيه الفكر والشعور . أو يعمره أخرى .  
العقل والقلب .

والحياة الروحىة السليمة هى أيضاً تعادل بين الفكر  
والشعور .

وما يطلق عليه وصف الأمراض العقلية والعصبية ما دوى  
إلا اختلال فى هذا التعادل . أما تصحيم الشعور فتضحها  
يلقى إلى جانبه أو يعطى مهمة الفكر فيرى تد الإنسان منفلاً  
فى أعوامه الأولى . ولما أن يطنى الفكر ويكبت الشعور ،  
فترتك أداة الإدراك فى الإنسان ...

والإنسان إذ ، كائن متعادل مادياً وروحياً . وهو ليس

وحده الذي يطبق عليه هذا التعريف كل الكائنات التي  
تحتلها هذه الأرض المتعادلة ، تتعدل هي أيضا كأمها في  
تركيبها ، تعادلا هو سر حياتها .

فالحيون والسات . والحساد .. كلها تخضع لقانون  
التعديل ، في تركيبها البيولوجي والكيميائي والطبيعي . حتى  
في نظر العلم احدث ، الذي غير مفاهيم القرن التاسع  
عشر حول ، المادة ، وبين نظرياته عن ، المادة ، و ، المحال ،  
إن ما نصعه ، المادة ليس سوى ، الطاقة ، مركزة تركيزا شديدا .  
كما أنه صاع أيضا القواين الجديدة في محل ، حادثة بين  
حزائات المادة والحادية هي أساس تعديل لأن الحادثة  
تعني وجود قوتين ، والتعديل معنى المحافظة على بقاء  
اثنين ، دون أن تتلاشي إحداهما في الأخرى

ولترك الإنسان من ناحية لمادية لجال العلم ، فأيهم  
رجال الأدب والفن هي الناحية الواحدة في الإنسان . وإن  
كانت الماحيان متداخلين أحدهما . بل من الصعب وخاصة



في سطر المعرفة الحديثة فصل ما هو مادي عما هو روحى .  
 ر. سمعت من ذلك إيجاد تعريف دقيق للمعنى كلمة «روحى» .  
 ولكن المقصود . طبع هو المعنى الشائع في الأدب و من  
 هذه الكلمة المعنى الذى يراد به الإشارة إلى حاسة الإنسان  
 المسكينة و شعورية .

فإذا أراد الأدب أن يسير الإنسان ، فأنما يعنى  
 إلقاء الضوء على موقفه المتكبر والشعور . نجد هذا العالم  
 الذى وجد فيه . عالم الإيمان و المكان والاضى والخاص  
 و حسه و البيئة و المجتمع . . .

وهذه مشكلة الأديب أو الكاتب فى تصوير الإنسان معقدة  
 لوليسية "عالم و"فيلسوف" فهو لا يلبث أن يفتح بحث  
 أو يحس ولكنه يندفع إلى موهبة حلق وحقارة فهو يشي  
 صورته للإنسان . أو على الأصح صورة لتفكيره وشعوره  
 قد تحوى من السمات والصفات الظاهرة والضمنية ، يعين  
 العلماء والفلاسفة على استنباط الحقائق والقوانين .

على أن موهبة الخلق والمحاكاة لا تنكح وحدها بل يضاف  
بهذا التعبير والتصوير إذا لم يستمد عداه من جوهر العلوم  
والمعارف السائدة في عصر الأديب أو الفنان

فمفكرة أبي العلاء أو شكسبير عن الإنسان هي في نفس  
الوقت تمكاس لما كان سائداً في عصر كل منهما من ثقافة  
ومعرفة . ولن يصل الأديب أو الفنان إلى تحديد موقف  
الإنسان في زمانه وعالمه ومجتمعه وعصره . إذا انقطعت  
صلة الأدب أو الفن بالعلوم والأفكار المحيطة به .

على أن مهمة الأديب أو الفنان ليست مجرد تصوير هذه  
العلوم أو تحديد هذه الأفكار . بل إن واجبه اعتبار هذه  
العلوم والأفكار مادة غذائية تنفعه في بناء الإنسان من  
جديد . بناء حراً يسبح وحيه من صميم مودته الخاصة في  
الخلق والملاحظة والمحاكاة . .

وعندما أقول المحاكاة لا أقصد تقليد المظاهر السطحية  
بل أقصد محاكاة طبيعة في قواها الخفية التي يستطيع الفنان

أفناها بشبكة حساساته الدقيقة

تلك هي وسيلة الأدب و هي في تفسير الإنسان .



قد تسألني بعد ذلك :

ما تفسير الإنسان في نظر الأدب والفن في  
عصرنا الحاضر ؟ ...

هذا سؤال يحتاج في الإجابة عنه إلى محلدات ، تملأ  
الآراء والمذاهب والاتجاهات التي تمتعت الأدباء في  
هذا القرن الأخير .

وليس هنا مريض الحديث في ذلك . فالمطلوب مني في  
إجابتي هذه إليك أن أعرض تمهيداً للإنسان مستخرجاً من  
كثير ألس هذا عرصك ؟ وليس أرجع إن كل الكسب .  
والله أعلم في المفصلات . فما أنا بصدد بحث عام .  
لما أن أدنى وجهة نظري الخاصة لسكون نقطة بداية لمن  
يعنيه الأمر .

ما عمو وضع الإنسان العام في هذا الكون كما تصوره ؟ .

هذا "سؤال يستوجب التقسيم إلى مسألتين تعرضان دائماً في كل عصر :

المسألة الأولى - هل للإنسان وحده في هذا الكون ؟  
المسألة الثانية - هل الإنسان حر في هذا الكون ؟  
الجواب عن هاتين المسألتين يترتب عليه تحدد  
تبعات الإنسان وتعيين مدى نشاطه ونتيجة كفاحه ...  
ولقد أجاب العصر الحديث فعلاً بأن الإنسان وحده  
لا شريك له في هذا الكون، وإليه إله هذا الوجود وأنه حر  
تمام الحرية. وبهذا الجواب لدى فضي على تعاليم الأديان،  
ختم العصر الحديث على همه بطبع المادة، وعلى الرغم من  
بقاء الدين في كثير من البلاد المتحضرة، مصيب في دعوته،  
محافظاً على مظاهر قوته، إلا أن مس حبيد حتى المتسككين  
بالطقوس وروح الصوص، قد سيطرت عليهم النزعة المادية  
دون إدراك مهمه. لأن جو العصر كله قد تشبع بها تشبعاً  
لا يجدي في صده "وافتد المعنقة وز الأبواب الموصدة وهو أوه

يتسرب إلى النفوس وهي لا تفتن ..

.. السبب في ذلك ؟ ..

السبب واضح . وهو أن التعادل الذي كان قائما حتى مطلع القرن التاسع عشر بين قوة العقل وقوة القلب ... أي بين نشاط الفكر ونشاط الإيمان قد احتل مدد ذلك الوقت تموالى انتصارات العلم العقلي ، واستمرار جهود الجانب الديني . فالعلم وليد العقل قد صاغت قوته وحدد وسائله ووضع آفاقه . في حين أن الدين وليد القلب بقي محصوراً في آفاقه . لم يكتسب مائع جديدة : أعماق القلب الانساني . تتعادل مع تلك العوالم الجديدة التي اكتشفها العقل النشوي ، واحتل هذا التعادل وقع عصبة خديت في اجاب الاربع . نجم عن ذلك خضوعه لتسليخ انتزاعه على سيطرة العقل وحده . وهداه الآسار في هذا الكون نعا لحرية وعكره ، وإنكار كل مالا يثبت بالبحث والاحتراز ، ومن ثم إنكار إرادة أخرى غير إرادة الإنسان

أو وجود آخر غير وجوده فهو كائن وحده في هذا  
الكون ...

وكان لهذا الاختلال في التعادل تبعته الطبيعية التي  
لا بد أن تلام كل اختلال في التوازن . . . وهو القلق .  
والقلق السائد في النفوس اليوم معناه هذا الاضطراب في  
ميران التعادل بين العقل والقلب . . . بين الفكر والإيمان .  
وهذا الاختلال في التعادل لابد أن يصحح نفسه بنفسه  
على مدى الوقت . . . وقد ظهرت في هذه الأيام بعض  
الدلائل . فالعصر الحديث بدأ يزهد فكرة الإنسان الكائن  
وحده في هذا الكون . . . فهو يتشوق جديداً إلى أحد  
غيره . . . إلى كائن أرقى . . . ولم يسعته الدين بأطار جديد  
لهذه المسكرة التي جعل يحزن إليها . . . ففي ينتظر ويأمل أن  
تحقق المعجزة والكل في محيط العلم العقلي الذي لم يزل  
مسيطر على فكره . . . وما لاهتمام بالأطواق الطائرة اليوم .  
وأمل الناس في أن تكون آتية رسالة من عالم أفضل



وكائنات أرقى ، إلا منفس عام بلطف الشعور الذي جف  
 بجفاف المنبع الديني ، ويريج الإنسان من فقهه ، ويحركه  
 قليلا من صيغة بوحده هذا الكون

هذا التعادل وحلله بين لغة القلب وإحدى مشكله  
 الزمن كان هو صوغ مسرح حقيقي وأهل الكهف ، كما أن هذا  
 التعادل هو احتلاله بين سكة المطلق مثلا وشهريه ،  
 والإيمان ، في ثلاثي ، ثم ، متحركا في إطار مشكله  
 الزمان ودورته كان موضوع مسرح حقيقي وشهريه

سبي أن لخلق الإنسان في العصر الحديث هذا آخر  
 مصلا أقدم المفاخر مشهور بحضرة في كل لحظة دماره المادي  
 يبده هو نفسه بهذا السب هو أن عين الوقت يده من نخ  
 انصراته العقية والعليه . فهو قد أصبح قادرا أقدر ، دية  
 هائلة ساحقة ، يمكن في أي وقت أن تفلت من يده ، وإذا  
 اعتنت بعد ذلك هذه عذره أو قصوره لا يلحمها عبر  
 حكمته . وهو لا يصح كثيرا هذه الحكمة . ومن هنا جاء

قلقه .. قلقه على سلامته وكيانه فهو يعيش من يوم إلى يوم  
في هذا العصر الحديث اطراً إلى ميزان التعادل بين القوة  
والحكمة ، من زائفة شديدة ..

هذا التعادل بين القدرة والحكمة وثباته واختلاله كان  
موضوع مباحث سليمان الحكيم ، (٣)

من كل ذلك تضح وحة نظري في قضية الإنسان .  
وأرغم الإنسان في هذا العصر هي عدى نتيجة اختلال في  
تركيبه التمادى ..

وعلى ذلك يسهل استنتاج حوى عن السؤالين  
السامعين .

هل الإنسان وحده في هذا الكون ؟ ، وهل هو في  
هذا الكون حر ؟ ..

لم أشر رأياً صريحاً في هذا المعنى ومع ذلك فقد أصبح  
لى ، فيما يظهر ، رأى في هذا الشأن ، لدى بعض المقاد  
الأحباب الذين يعنون عادة بحل خلاص هذه الاتجاهات

من الآثار فأغلبهم ذكر في تعليقاته وبحوثه عن مسرحيات  
أشهرهم التي ترحمت أن الفلسفة المسيطرة عليها هي قدرة  
الإنسان المحدودة أمام قدره وأن مصر الإنسان عدى  
من شرط رانما يكماحه أمام القوى غير المنظورة .. ونفذ  
بعضهم من ذلك فإلا إن المعتقدات عندى قد تحو رت من  
فلسفتها إلى فلسفة رضاء إنسانها . ولكن الإنسان مهيطن فهد  
مهددا بقوة خفية .

مهما يكن يرى فالمعروف عن كنهه هؤلاء . هم  
المتنحوا من حلال مسرحى أن على أن حال لا أو دوكه  
وحدة الإنسان أو حريه المصنعة فى هد يكون .

### وهذا ما لا أنكره .

هأنه أحسن شعورى لداخلي أن الإنسان ليس وحده  
فى هذا الكون . . . . . وهذا هو الإيمان . وليس من حق أحد  
أن يطالب إلى الإيمان تعليل أو دليلا . فاما أن شعر  
أو لا شعر . واپس للعقل هنا أن يتدخل ليثبت شيئا وأن

اولئك الذين ينجأون إلى العقل ومنطقه لثقتهم بالإيمان  
إنما يسيئون إلى الإيمان نفسه فالإيمان لا يرهان عليه من  
خارجه ، إني أؤمن بأن لست وحدى .. لأنى أشعر بذلك ..  
ولم أفقد إيمانى ، لأنى رجل متعادل

والسكى من جهة أخرى أفكر بعقلى . لالسكى أدم إيمانى  
بأنى لست وحدى . بل لأعرض المسألة أمام تفكيرى  
بعيدا عن الإيمان .

هل يقصر العقل فكرة كائن الأرقى ... أى الأرقى  
من الأساس ...

إن الخواص حتى فى أعلى مراتبه لا يدرك وفكرة  
الأرقى ... إنه يدرك فكرة الأقوى ... فالعلم بالنسبة  
إليه إم محولات ضعيفة بتعلب عليهم ، إماماته له فى القوة .  
ولما أقوى منه يتحشى مواضعها ... والقوة عنده بدنية  
بجته .

أما الإنسان فيستطيع بعقله أن يدرك وفكرة الأرقى ...



أى الأقوى ذهنا وروحاً...

وهو يستطيع أن يرى فيما حوله أثر نعم تدل على  
ذهن أقوى وروح أرقى ملايين المرات من ذهنه وروحه .  
فما الذى يبعده عن قبول فكرة وجود الأرقى ؟ ...  
إن الخبوات قد قس الفكرة فى محيطه الذى لا يدنى .  
فتجاشى قلب الأقوى ... ومعنى هذا التجاشى هو إيمانه  
بوجوده ... فلماذا لا يعمل لاسان أممكره فى محيطه لدهنى  
الروحى ، ويؤمن بوجود الأرقى ؟ ...

إن عقلى يقر أممكره .

ولكنه لا يستطيع أن يصعصع صورة واحدة و صحته تنفق  
مع حلالها .

لأن العقل لا يصع غير الصور التى تمشى مع منطقته ،  
ومطقته قائم على فروص ومشاهدات وملاحظات مما يقع  
فى نطاق اختاراته . فهو إذنا يصع الأرقى غير صورة  
لما يعرف . بحسنة غاية التحسيم فى عرفه وطره . وهذا

أن ينتج غير صورة مشوهة تهبط بالمسكرة... ولعل هذا  
سبب من أسباب الاتحاد

ومن ساء العقل أن يصنع لنا صورة لله فيخفق،  
بدلاً من أن يضحك ونهراً بالعقل، يضحك بهزاً بمسكرة  
الله...

ولنؤمن إذن بأفكار وحده... تلك قوته. ولندع  
العقل بمسكرة في محاله وحده... تلك أيضاً قوته...  
وهذا أنه دل بين القوتين يكفل سلامة الشخصية  
الإنسانية.

بق أن أجيبك : هل الإنسان حر في هذا الكون ؟ ..  
ما من جواب يمكن أن تلتقاه إلا من القوتين الموطوء بهما مهمة  
الإدراك والوعى ، وأعلى العقل والقلب ، كل منهما يجيب  
على طريقته وأسلوبه ووسيلته ... فالعقل قل أن يبدى  
رأيه سبحت وبلا حظ ويقارن ويستدج . سيدظر إلى الطير  
وهو ينشئ عشه هذا الساء المحكم ، وإلى الحبل وهو يقوم  
بأعماله المعجبة في الخلية ، ويتساءل في أى مدرسة يتعلم الطائر  
والحبل هذه الأعمال الباهرة ؟ .. فيجيبه الملاحظ أن الطير  
والحبل واكثر الحيوان والحشرات لا تتعلم ولا تتدرب ،  
وانكها تولد وفي أعماقها هذه المعرفة المخزونة فيها - تلك انى  
أسمى العريضة - فتدهمها دفعا وتحركها محركا لصنع هذه  
الاعمال حير ... عندئذ يتساءل العقل : والإنسان ؟ لماذا يولد  
ولا يتطبع هو أيضا أن يبنى بيته الجميل ويفرس بيته الرائع

بغير تعليم ولا تدريب ؟ .. ما بال الإنسان يولد عاجزا حتى  
عن المشي والكلام ولا يخزن في جوفه حضارته كالنحل  
والنمل ؟ ما باله يولد متروك لنفسه ، مجردا من الغرائز الانشائية ،  
محتاجا إلى اكتساب معارفه بنفسه خطوة خطوة ؟ ..

نعم ، الحيوان يولد مكلا بالمعرفة المتحصرة أي  
الغريزة ، والإنسان يولد مجردا ... أي حرا ... وعليه هو  
أن يكتشف المعرفة من جديد ، في كل مرة يولد ... إن  
المعرفة المتحصرة عند الحيوان ، تلك التي تولد معه . هي  
معرفة مفروضة عليه فرضاً ، لا يستطيع أن يتجنبها ولا أن  
يحيد عنها ولا أن يبدل أو يغير فيها ، ولا أن يحدد في لها  
أو شكلها ... أن خلية النحل هي خلية النحل منذ وجد وإلى  
أن يفرض . وليس في مقدور النحل أن يصنع خلية على صورة  
أخرى ، أو يمتنع عن صنعها عامدا أو يعيش ليصنع شيئا  
آخر ...

تلك هي الجبرية التي لا حرية معها .



أما الإنسان فلم يفرض عليه نوع من المعرفة يقيد به ويكبله  
ويجبره على صنع شيء بعينه طول حياته ، على نحو خاص لا يملك  
أن يتجسه أو يعيره أو يحيد عنه . . . إن النحلة تولد وهي  
تعرف بالضبط ماذا هي صانعة في حياتها لأن مهمتها معروفة  
محددة .

أما الصفل ويولد ولا تحديدي ماذا هو صانع في حياته  
لأن مهمته ليست معروفة ولا محددة كمهمة النحلة والنملة . . .  
بل أن سلوكه في الحياة هو الذي سيحددها .

يسمح العقل إذن من هذه الملاحظة والمقارنة التجريبية  
التي فرصت على المحل واختل لأداء عمل معين على وجه  
معين ، لم تعرض على الإنسان الذي ترك حراً يواجه  
مصيره . . .

ولكن هذه الأخيرة التي تركت للإنسان هل هي مضنقة ؟  
هل هي مقيدة ؟ . . .

ربما استطاع العقل أن يوافق بلسان العلم - وهو أحد

مولوداته وأدواته - على أن حرية الإنسان مقيدة ،  
قياسا على حرية الحركة بالنسبة إلى المادة . . فقد قال لنا  
« نيوتن » ومن قبله « جاليليو » ان الجسم المتحرك يظل  
يتحرك في اتجاهه الا إذا تدخلت في ذلك قوى خارجية . .  
ذلك قانون القصور الذاتي المشهور بالنسبة إلى المادة ، وقد  
يصح أيضا بالنسبة إلى حرية الإنسان . . . أى ان حرية  
الإنسان تظل تنحرك في اتجاهها إلا إذا تدخلت في أمرها  
قوى خارجية . . .

وهنا ينبغي ان نسأل العقل أو العلم هذا السؤال المعض  
ما هي هذه القوى الخارجية ؟ . .

في نظر الفلب أو الأيمان الجواب بسيط . . . ولكن  
العقل سيحاول ان يبحث عن الجواب في عالمه المادى  
دائما . . . أى أنه سيتحاشى الاقتراب من منطقة الشعور  
الادمى الداخلى الذى لا يملأ بالمطلق . سيقول العقل ان  
القوى الخارجية هي مجموع الإرادات الأخرى المتعارضة

أو المقاومة ، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة . وسواء كانت في مجتمع معقد أو مجتمع بسيط .

وقد يلجأ العقل إلى العلم ليعقد المقارنات بين قضايا انحراف الآلة الميكانيكية، وبين انحراف الإرادة الإنسانية، وقد يشه مجال حركة الإنسان في مجتمعه بالمجال الكهربائي المقصاحيسي في المادة . ليخرج من كل ذلك تفسير يقوله مطلقه المادى للقوى الخارجية المؤثرة في حركة الحرية البشرية . وقد يقتنع العقل وحتى إذا لم يقنع فهو سيمضى بتصديد الأدلة وبراكين داخل نطاق عالمه المجهود .

أما القلب فهو مقنع بغير دليل ولا حاجة إلى الأدلة في عالم القلب والايمان . لأن الدليل هنا مفسد للأقتناع . بل ان الاقتناع نفسه ليس من وظيفة القلب . لأن معناه أنه جاء بعد شك . والقلب لا يشك لأنه لا يفكر . . . انه يشعر . . . إنه بجأة يضيء كصباح الكهرباء .

فالقلب الإنسانى يشعر أحيانا شعورا لا تعليل له بأنه ليس

وحيدا ولا حرا في هذا الوجود . ألا يحدث أحيانا أن تشعر  
كأن شخصا ما في مكان ما ينظر اليك . فإذا رفعت رأسك  
وبحثت وجدت فعلا أن شعورك صادق ؟ ألم تلاحظ مرة  
أو مرتين في حياتك أن حادثا معينا وقع لك في ظرف  
معين فغير مجرى حياتك على وجه معين . وتحاول أن ترد  
ذلك إلى المصادفة فتعجز ، لأن تلك الإرادة الخارجية  
تدخلت بصورة منظمة مسبقة تم على وعى يعقل ما يفعل  
ويعنى ما يريد ، لإحداث نتائج مقصودة بالذات . ما كانت  
تحدث لولا هذا التدخل الذي لم يكن متوقعا ؟ إرادة خارجية  
لها كل عناصر الإرادة الرشيدة الدكية تهبط على إرادتك  
العادية فتعبر عنها وترسم لها طريقا جديدا . . . أن عقلك  
أحيانا ما يبلغ في مسطته من الصلابة والدقة ، ليأبى أن يخضع  
مثل هذا الحدث للتفسير العقلي المعتاد بالسهولة المعتادة . . .  
أن الماصرين للعقل والعلم يكتفون في مثل هذه الحالة  
بهز رؤوسهم . . .

أما المسكايرون والمتعصبون فهم ماضون في الإنكار لأن  
العقل وحده عندهم هو الإله .

أما أما فأعترف بالعقل والعلم وحرية الإنسان ، ولكن  
لا يمكن أن أنكر القلب والايما . إن لا أعيب على العقل  
أن يشك ... لأن وظيفة "عقل هي الشك ... أى الحركة ...  
فإذا انقطع عن الشك في بحوثه وفرواينه ، ووقف عن الحركة  
في تقلب الحق والباطل فقد شل عمله وانتهى أجله .  
أما القلب هو طبيفته الايمان أى الثبات . فلنترك للقلب  
أذن أمر تلك الحقيقة الثابتة التى تستعصى على كل حل وتستهزم  
على كل تعليل ...

موفقى اذن من حرية الإنسان هو الآتى :

الإنسان عنده حرقى انحاه حتى تتدخل فى أمره قوى  
خارجية أسميها أحيانا القوى الإلهية . . حرية الإرادة فى  
الإنسان عنده اذن مقيدة شأنها فى ذلك شأن حرية الحركة  
فى المادة ...



والحرية المقيدة فكرة لا تروق لأكثر الأوروبيين اليوم  
لأنهم — كما قلت — قد ثقلت بهم كفة العقل والعلم والمكر  
التي تؤله الإنسان وحده في هذا الكون .

وقد تجلى ذلك في تعقيب أولئك القواد الذين أشرت  
إليهم فقد رأى أحدهم أن موقفى وإن كان لا يتعارض كثيرا  
في أحكامه الهائية ، مع ما جاءت به الأجيال العصرية إلا  
أنه يعبر عن عقيدة تهزأ بها أوروبا بغير حق — كما قال — هي  
مأساة الحياة تتكشف عن عجز الحرية الإنسانية ...  
على أن الحقيقة التي أحب أن تستقر في وضعها الصحيح هي أن  
تعادلى ، أى أن إرادة الإنسان في كفتها تعادلها الإرادة  
الإلهية في كفة أخرى ، والعقل البشرى في كفة يعادله  
الإيمان . في كفة ...

بهذا التعادل يعيش الإنسان ويعمل ...

غير أنى قبل أن أبلور أفكارى وأصوغها بما يطابق هذه  
النظرية التعادلية ، قد حاولت تفسير موقفى من حرية الإنسان

ووجدانيته . فقلت في كتابي « فن الأدب » :

« هذا الموقف من قضية العصر قد وقفته  
وتأملته .. فالإنسان عدى ليس إله هذا العالم ، وهو ليس  
حرًا . ولكنه يعيش ويريد ويكافح داخل إطار الإرادة  
الالهية ... هذه الإرادة التي تتحلل للإنسان أحياناً في صور  
غير مطورة من عوائق وقود على الإنسان أن يكافح  
لاجتيازها والتعلب عليها ، .. فأنبأ أشرق أنفسهم ببعضهم  
الله ويضع أمامهم العقبات ... فطريق الذي ليس معداً ،  
ولكنه يجاهد في تبليغ رسالته وسط أشواك من عرائز  
السام ... إن قضية العصر اليوم ، وهي التي تقوم على  
حرية الإنسان سواء باعتباره فرداً أو باعتباره جماعة ، إنما  
تتعد وتتلاقى في أمر واحد . هو إنكار الله ، إنكار القوى  
غير المنظورة التي تؤثر في مصير الإنسان ...  
على أن شعوري بعجز الإنسان أمام القوى المؤثرة في  
مصيره ليس مؤداه التشاؤم ... »

كما أنى لست أرى فى الطريبات الأوروبية القائمة بحرية  
الإنسان أمام مصيره ما يدعو إلى التفؤل .. العكس هو  
الأصح . فإن فكره تأله الإنسان وحده على هذه الأرض  
كانت فى رأي من الأسباب التى أدت إلى كوارث العالم  
اليوم .. الإنسان الإله الحر الذى لا شريك له ولا سلطان  
لقد ر عليه مع ما ركب فيه من عرائز الحرب والكهاج .  
عندما حدد وجود غيره على الأرض وأنكر كل قوة غير  
قوته فى الدنيا . لم يجد ما يوحه إليه عرائز حربه ونشاطه  
كفاحه غير نفسه . فانقلب محاربا نفسه ، هادماً ذاته ...  
فى حين أن فكرة الشعور بالقوى الأخرى التى تواحه  
الإنسان وتؤثر فى إرادته وحريته ، تدفعه فى نهاية الأمر  
إلى أن يحدد عرائز حربه ونشاطه وكفاحه ، لا ضد نفسه ، بل  
ضد هذه العوائق المستترة وهذه القوى الخفية .. فالشعور  
بمعجز الإنسان أمام مصيره هو عدى حافز إلى الكفاح  
لا إلى التذلل . . أهل الكهف ، كالخفا ضد الزمن ...

ولست أحدهم متعلقاً بالحياة، بقارع الزمن بسيف بتار هو  
والقلب، إلى آخر لحظة... وده شهر زاد، جاهدت بمحاولة  
أن ترد إلى الصواب زوجها الذي أراد أن يشذ أرضه  
وآدميته، وأن تعبد إليه إيمانه ببشريته... وده سليمان،  
جاهد ضد إغراء القدرة التي كادت تخرس صوت الحكمة...  
وهكذا كان الإنسان عدى يجاهد دائماً ضد العوائق الخفية  
التي شعر بتأثيرها في حربه وإرادته ومصيره...

لو اتجه تمكيز الأدب الأوروبي لما صر إلى هذه الوجهة،  
ودعا إلى حشد قوى الإنسان ضد أقيود أخيه إلى تكبل  
حريته الحقيقية، لكان في هذا النوع من التفكير بعض  
الحل لأزمة الإنسانية في العصر الأخير... فأزمة الإنسان  
اليوم هي حربه ضد نفسه... وهو الذي له قريع آخر غير نفسه  
لم يعد في غروره يرى سوى حريته المطلقة... لم يعد يرى  
القوى الأخرى غير المظورة، التي تحرك وجوده وتلعب  
بمصيره، وتستوجب نضاله وتتطلب تفكيره.....

الأدب الأوروبي في هذا العصر لا يريد إذن أن يقف  
من الإنسان موقفاً صريحاً صادقاً . فالناس الإنسان على  
هذه الصورة ثوماً مسرحياً من قدرة وحرية لا حد لها ،  
ووضع حالة الألوهية هكذا فوق رأسه . تبرق بأشعتها  
الصناعية ... كل هذا الخداع .. شأن كل خداع .. مهما  
يكن من سلامة دوافعه وأهمية أهدافه . وبإله من العواطف  
ما يهدد بصيرة الإنسان .

الآن وقد كشفت لك عن رأيي في وضع الإنسان من  
الكون ، على أساس انه يعقل وجود الأرقى ويشعر به ،  
ويدرك انه حر الإرادة في نطاق إرادة خارجية عليا .  
ولنتقل إلى وضع هذا الإنسان في المجتمع بحالته هذه  
وإدراكه هذا ...

ما هو المنظر من هذا الإنسان أن يصنع ؟ إنه كما ذكرت  
ليس كالرحلة ركب وبها عملها من البداية إلى النهاية ...  
لا ... انه أعطى آلة مفكرة قابلة للامور ، وآلة شاعرة قابلة  
للأمو أيضا ... وهذا كل شيء ....

ماذا يصنع ؟ .. وفي أن طريق يسير ؟ .. لا بد له من  
هداية . لا بد له من نموذج ... هذا النموذج هو إدراكه  
للأرقى ، هذا الإدراك للأرقى هو دليله الذي يقوده في  
طريق الحياة الإنسانية ... هو حافزه للتطور ...



هذا الإدراك للكائن الأرقى ليس عدى مجرد عقدة  
دينية ، بل هو ضرورة انسانية . شأنها في ذلك شأن الضرورة  
الحيوانية التي تحمل الحيوان على إدراك الأقوى .

فإدراك الحيوان لوجود الأقوى هو لدى يحمله على  
اكتشاف منابع قوته الذاتية ، وتمنيتها وإعدادها لساعة  
المواجهة واللقاء . . . ولو فرضنا أن حيوانا عاش وحده في  
جزيرة تائهة ، اطمأن فيها إلى وجوده ، ولم يشعر بقوة غيرها غير  
قوته ، التي لا يرى حاجة إلى استنجد بها أو مقارنتها بأخرى ،  
لكان من الحائز أن تضر هذه القوة فيه وتضمحل . . .  
فالشعور بوجود الأقوى ينشط لقوة كذلك الشعور  
بوجود الأرقى عند الإنسان ينشط الرقى . .

إن طريقة التطور عند لامارك وداروين وسيسر لن  
تصح فيما يتعلق ، لأنسان إلا إذا أدرك وجود الأرقى . . .  
فتمو عمله وقلبه رهين بهذا الإدراك . . طبقا للقاعدة  
التي تقول بتطور العصور ، للطبيعة ، تلك هي الضرورة

الإنسانية التي ارتبها على اعتقاد الإنسان بأنه ليس وحده في  
الوجود . . هذه الضرورة التي تحمله على اكتشاف نفسه ،  
وإيجاد منابع قواه الذهنية والروحية وتمييزها وإعدادها  
لمواجهة تلك الأمور والقوى الخفية التي تهرق عقله وتحب  
لمسه . . . وهو في هذا الكشف والارتداد والسعي  
يتغير ويتطور ويسمو على ذاته طرفة بعد طرفة . . فردا  
وبحسب ما . . .

والإنسان قد تطور فعلا بناء على هذا الإدراك للآرق  
بعقله وقدرته . . ثم وقف تطور الأيدى القلبية ، كما  
ذكرت ، واستمر التفكير العقلي يتطور وحده في فقرات  
ياهرات . جعل العصر الحديث يسمى النموذج الأصلي وهو  
الكائن الآرق أو فكرة الله . . لا يرى غير العقل المنصر  
بمفرده . . .

هذا الاحتلال في التعادل بين تطور الفكر وتطور

الآيمان ، قد عرفل سير الإنسان في طريق الرقي الكامل ،  
كما عرفله أيضا احتلال آخر في التعادل من تطور الفرد  
وتطور المجتمع ...

قلت لك إن الانسان ليس خاضعا للجبرية التي تخضع  
ها لنملة والنحلة . فهو قد خلق حرا يتكف عمله ويتحدد  
اتجاهه . تبعا لظروف اتصاله بالحياة ومهما يكن من أمر وجود  
المولى الأخرى التي تؤثر في إرادته ، فإن هذا التأثير لا يسى  
عه صفة لإرادة الخرة في كثير من أوصاءها .

وما دام الانسان حر الإرادة ولو بعض الحرية ، فهو  
ادن مسئول . لأن المسئولة تسع من الحرية . فالمحلة أو  
انتم ليست مسئولة عن عمل لآها خلقت به . أما الانسان  
فلم يخلق بعمله . فهو إذن مسئول عنه .

وإذا ذكرت مسئولية الانسان منذ قدم ذكر الخير  
والشر . لأن الخير والشر هما الموجب والسالب في كبرياء  
العلامات البشرية . والخير والشر في رأي لا شأنهما لانسان  
المرد : لا وجود لهما إلا بالمجتمع فلو فرضنا وجود شخص

منعزل في جزيرة ، ليس فيها غيره وغير أشجار فاكهة يطعم  
منها ، فان الخير والشر لا يوجدان في هذه الجزيرة . وإذا  
فرضنا أن شخصا آخر هبط عليه . وعاشا معاً ، فان الخير  
والشر يولدان ليعيشا معهما . فقد يحدث ان يقطب احدهما  
ثمرة شبيهة بطمع فيها الآخر فيحتلسها منه أو بغتصها بنفسه .  
وقد يحدث ان يمرض احدهما فيقوم الآخر على خدمته  
ومعوثته . فالخير وهو الفعل الإرادى الذى يودى إلى نفع  
الغير ، والشر وهو الفعل الإرادى الذى يودى إلى ضرر  
الغير ، لا يوجدان إلا بوجود الغير . فلا بد ان من وجود  
الغير أو بعبارة أخرى المجتمع حتى يوجد الخير والشر . فالخير  
والشر لم يولدا مع الإنسان ، ولكنهما ولدا مع المجتمع أو على  
الأصح بعد ميلاد المجتمع . وأقصد بالمجتمع هنا مجرد اجتماع  
شخصين فأكثر . وهما يصح أن يسأل : أيهما ولد قبل الآخر ؟  
الخير أو الشر ؟ .. فى رأى أن الشر والخير كالليل والنهار  
يتعادلان ولا ندرى أيهما أسبق . . . وقد يكون الشر هو

الأصل في الإنسان ، لأنه متصل بالوعى الأساسى للإنسان :  
وهو الشعور بالذات ، وحب هذه الذات . . .  
فحب الذات الغريزى فى كل الموحودات الحية ومنها  
الإنسان ، يدفعه إلى إرضاء هذه الذات ولو أدى ذلك  
إلى إيذاء الغير . وكلما كان المجتمع بدائيا همجيا انطلقت هذه  
الانزعة الغريزية على فطرتها غير مبالية بضرر الغير . ولكن  
المجتمع فى تطوره نحو النظام رأى أن ضرر الغير لا بد  
أن يوازن ويعادل بفعل آخر هو : نفع الغير . وكلما ارتقى  
المجتمع اتحد نفع الغير وضعاهاما من أوضاع السلوك العام .  
فوجد الخير وحقر الشر . لأن المجتمع يعلم أن الخير فى حاجة  
إلى دعوة وتشجيع لأن حب الغير أشق وأصعب عند  
الإنسان من حب النفس فالخير وليد الروح والتهذيب ، ولكن  
الشر وليد الغريزة والطبع وكان من أثر هذه الدعاية بصورها  
المفرقة أن وضعت العلاقة بين الخير والشر وصعاً مصطنعاً  
أدى إلى اشتطار المجتمع إلى أخيار وأشرار ، وأبرياء ومجرمين .



وهذا التقسيم ليس في مصلحة الإنسان ولا المجتمع .  
ذلك أنه يحفر هوة وهمية بين الإنسان والإنسان . ويصم  
طائفة من المجتمع بوصمة سوء عرقية لا تزول عنهم أبدا .  
وهذا مع ما فيه من الحاق الشلل والعقم بجزء من جسم المجتمع ،  
وأما بخلاف حقائق الأشياء... لقد لاحظ أحد القدامى الأجانب ،  
أن مسرحى يقوم على أشخاص تنحد مرا كزهم لا بالنسبة  
إلى الخير والشر ، بل بالنسبة إلى الحقيقة والواقع . وهذا  
صحيح . فأنا لم أبرز قط أشخاصا ينمون إلى الخير مطلقا أو  
إلى الشر مطلقا . وأنا أرفض هذه الفكرة ، ورفضتها  
دوما في كل ما كتبت . بل إنى ، فست فكرة  
أشواق السماوى للخير المطلق... رجوع فئتي ، طريق  
الفردوس... لأن الأنبياء والرسل أنفسهم تعرضوا  
لعتاب الله ، ولا يمكن أن يعاتب الله على الخير .  
فالإنسان عدو قيمة ثابتة ، تلحق بها أحوال متغيرة  
من الخير والشر والصحة والمرض . وأن من يأتي عملا يضر

الخير ، يستطيع أن يأتي عملاً يفع الخير . وهو لذلك ليس  
خييراً ولا شريراً ، ولا صحيحاً ولا مريضاً ، في أحواله  
العادية ، إنما هو موضع تتعادل فيه وتوازن هذه الحالات  
المختلفة المتغيرة . فهو يكون في حالة مرض ولكنّه يعمل  
للشفاء أى للاقترب من حالة الصحة . ذلك أن الإنسان  
باعتباره قطعة من عالمه المتحرك ، ما يكاد يقع في حالة حتى  
يبدأ في التحرك نحو الحالة المتعادلة أو المعادلة . وهو لا يبقى  
في حالة واحدة طويلاً إلا بوسائل صناعية فمن بقي في  
حالة الشر أكثر مما ينبغي واستمر بصير الخير ، فإن ذلك في  
أكثر الأحيان راجع إلى أن المجتمع سد في وجهه طريق  
الانتقال إلى الحالة المتعادلة التي تبيح له فعل الخير . لذلك  
أرى أن فكرة الخير والشر يجب أن تتغير في نظر المجتمع .  
وأن المجتمع يجب أن يقف من مرتكب الشر لا موقف  
المنتقم ، بل موقف المطالب بحالة التعادل ، أى بفعل الخير  
وعلى هذا الأساس يجب أن تتغير فكرة العقاب . فمعاقبة

مرتكب الشر بحبسه ، أى بحرمانه من حريته ففكرة خاطئة  
لحرية الإنسان يجب أن تنق له . وثمن الجريمة يجب أن  
يدفع لا من حرية الانسان ، بل من عمل إيجابى يوازن  
وبعادل العمل الذى ارتكبه . إن من يرتكب الشر أى من  
يقوم بالعمل الإرادى الذى يؤدى إلى ضرر الغير ، يجب أن  
يدفع الثمن نعم إرادى يؤدى إلى منفعة الغير . أما أن يؤدى  
المذنب الثمن بمجرد حرمانه من الدخين أو الطعام أو الاتصال  
بأهله وذويه ، فهذا إحرام سلبى لا يعود على الغير بفائدة ،  
ويعود على المذنب بشر العواقب ، فهو يفقده آدميته ،  
ويقلبه وحشاً شريعاً يندرب فى سجنه وقفصه على التمر  
لديجمع الذى وصمه بوصمة الاجرام . وهذا ما يفسر لنا  
كيف سجلت السجن وتخرج فى مختلف الأمم - مهما يباغرقها -  
فى تخرج طراز خطر ماهر مدرب من المجرمين المحترفين .  
ذلك أن فكرة العزل عن المجتمع . تحمل فى نفسها خطرهما  
على المجتمع . . . فالمجتمع الذى يدفع عن حظيرته

شخصا ولو لمدة محدودة يقلبه في الحال عدوانا قسا .  
وأن في طرد مرتكبي الشر بعيداً عن المجتمع ، وتجميعهم في  
مكان واحد ، لهما يربطهم جميعا برابط واحد ، ويجعلهم يكونون  
فيما بينهم مجتمعاً آخر ، تسوده تعاليم أخرى معادية لتعاليم  
المجتمع الذي طردهم . وهكذا تتم عملية الانشطار بين أهل  
المجتمع الواحد ، ويقسم الناس إلى أحبار وأشرار بحكم  
القانون والعرف ، لا بحكم الواقع والحقيقة . ذلك أن من  
بين أفراد المجتمع مذنبين ومرتكبي شر لم يقبض عليهم ولم  
يقموا تحت طائلة القانون ، استمروا في حياتهم العادية بين  
أهلهم وذويهم ، يتحركون في المجتمع بكامل حريتهم وحقوقهم  
يصنعون الشر مرة والخير مرة ، إلى أن تتلب حالة على  
حالة ، فيظهر حيرهم ويضعهم للناس فيرضى عنهم المجتمع ، أو  
يظهر شرهم وضرهم للناس فيطالبوا بتقديم الحساب . وهذا  
الحساب هو وحده الذي يجعل منهم المحرمين المحترفين مادام  
يتخذ شكل الحبس الذي أشرنا إليه ، أي القفص الذي

تندرب فيه الوحوش على صقل محالب الأجرام .  
والرأى عدى هو إعادة النظر في طريقة الحساب  
والعقاب، فيما عدا عقوبة الإعدام للقتل العمد فهو لا بد أن  
تبقى . لا على أنها عقوبة . بل لأنها . ضع طبعى . وطبقا لمذهب  
التعادل : لا شئ . يعادل حياة الاب ر غير حياة الانسان . أما عقوبة  
الجرائم التى يعاقب عليها عادة بالخرمان من الحرية أى بالحبس  
والسجن فهى التى يجب أن تنعير وتوضع على أساس جديد . على  
أساس المعادلة لا بين الحرية والشر . . . بل المعادلة بين  
الخير والشر . . . أى من يرتكب فعلا يصير الغير يجب أن  
يعادله بفعل يصنع الغير . وعلى هذا الوضع يجب أن تلغى  
السجون ، ويقام بدلا منها مصانع وأدوات لإنتاج . فمن فعل  
شرا بالمجموع عليه أن ينتج خيرا يفيد المجموع دون حاجة إلى  
أن يطرد من مجتمع أو يقضى عن أهله وذويه ، أو يحرم من  
حرية فى ممارسة حياته العادية . كل ما يطلب منه هو أن  
يؤدى ثمن الشر الذى ارتكبه من إنتاجه . يجب أن ينتج

لحساب المجتمع ما يعادل في الزمن والسك جسامه الشر الذي  
صدر منه . هذا الحساب الايجابي المنتج أفيد وأنفع للمجتمع  
من السجن السلبي العقيم وهو فضلا عن ذلك مبق لكرامة  
المذنب ، لأنه يقيبه بين مجتمعه وأهله ، أى في البيئة الصالحة  
لتوبته وتحركه في اتجاه الخير . . .





ووجود الخير والشر يؤدي إلى وجود الضمير ، والضمير  
خاص بالإنسان . لأن الخير والشر لا يعرفهما الحيوان .  
فالحيوان قد يجمع ويضر ، ولكن بالمثل الغريزي لا بالمعل  
الإرادي .

ومتى انتهت الإرادة ، انتهت المسؤولية ، ومتى  
انتهت المسؤولية عن الخير والشر انتهى معاهما . والضمير  
كالخير والشر لا بد لوجوده من وجود الغير أي  
المجتمع فالإنسان المفرد المعزل في جزيرة نائية يعيش بدون  
ضمير ، لأنه يعيش وحده بدون خير وشر وغير ولكن ما هو  
الضمير ؟ . . أهو مجرد الشعور بأن الشر شر والخير خير ؟ .  
بماذا نصف شعور الارتياب عند من يقتل أحدا بالتأثر ،  
وهو يعلم أن ما فعل شر ؟ أو شعور الرضا عند من يسرق  
ثيابا ليمسك رفاقه ؟ . لا بد من وجود عنصر ضروري في

الشعور حتى يوجد الضمير . هذا العنصر هو الاحساس  
الذاتي بالذنب هو إحساس مرتكب الشر بأنه أحدث بالغير  
ضرراً جديراً بالأصلاح . الضمير هو إذن شعور الذات  
بشر حق الغير لم يقدم له حساب . ذلك أن المذنب الذي  
يعاقب على ذنبه أو يكفر عنه التكفير الكافي لا يسمع في  
أعماق نفسه صوتاً للضمير فالضمير لا يتكلم إلا ليذكر  
بالمديونية قبل المير أو يعاين أخرى بذكر النفس أن الشر  
الذي ارتكب يجب أن يعادل بخير . هذا الشعور بالتعادل  
يسمى في عرف الأخلاق بالعدل فاعادل هو المظفر  
الأخلاقي لتعادل والضمير إذن هو الشعور بالعدل ، أو  
على الأصح : شعور الذات بعدل لم يتحقق نحو الغير .

والضمير كما يوجد عند الفرد يوجد عند المجتمع . والمجتمع  
يتولد فيه أيضاً شعور أن عدلاً لم يتحقق نحو الغير ، أي  
نحو طائفة منه لحقها شر بفعل طائفة أخرى . وهنا تقوم  
الثورات الاجتماعية لصحح الوضع وتعيد حالة التعادل ، التي

تسمى العدالة أو العدل الاجتماعي .

في محيط ، الأخلاق ، الضمير - المردى أو الاجتماعي -  
هو الحارس المنوط به الصياح لطلب العدل أى التعادل .  
أما في محيط السياسة والاقتصاد فإن الحارس هو القوانين  
الآلية التي تعمل من تلقا نفسها ، كما تعمل قوانين العريضة  
في محيط الحيوان والنبات .

في السياسة الدولية لا بد دائما من توازن أى تعادل بين  
القوى . وقما حدث في تاريخ الأمم أن تعمدت طويلا دولة  
واحدة بالهوية في العالم . حتى يوم كادت الدولة الرومانية أن  
تسيطر بمفردها على الدنيا اضطرت هي نفسها إلى قوتين ،  
إحداهما في روما بزعامة كايوس والآخرى في الاسكندرية  
بزعامة بطليموس . ثم حدث لها نفس الأمر في العهد  
المسيحي . حيث قامت الدولة الرومانية الغربية في روما ،  
والدولة الرومانية الشرقية في القسطنطينية . وهكذا وهكذا ..  
وفي السياسة الداخلية لا بد دائما أيضا من توازن أى

تعاذل بين قوة الحاكم وقوة المحكوم . حتى في عهد السلطان المطلق فإن قوة المحكوم كانت تجد لها ممدا وسبيلا من خلال رجال الدين أو رجال الفكر . هذا استطاع الشعب في العصور الحديثة أن يحكم نفسه بنفسه ، انشطرت قوته نفسها إلى قوى مختلفة في صورة أحزاب تتوازن وتعاذل كي تحتفظ بوجوده . الصروري للتعبير عن إرادة من تمثلهم من طوائف الشعب . وإذا تعلت طائفة في النهاية وانزلت كل ما عداها من الطوائف والضبقات واتحدت في قوة واحدة تشمل الدولة كلها فإن هذه القوة أيضا لا تلبث أن تولد قوة أخرى خفية تعارضها وتجاهد في الظهور . وقد تحقق وتكملت وتمزج وتحقق ولكيها لا بد يوما أن توجد ، لأن قانون التعادل الذي نرى مظهره في الشهب والزهير هو الذي يعمل هنا أيضا ونرى مظهره في وجود حركة توازن حركة ... لأن هذا هو شرط الحياة ...

أما في الاقتصاد فقانون التعادل صارم في عمله . فلا بد

أن يكون هناك توازن بين العرض والطلب، كالتوازن بين الشيق والرقيق، وإذا زاد العرض زيادة فاحشة على الطلب انعدمت قيمة السلعة، وإذا زاد الطلب زيادة فاحشة على العرض، ارتفع سعر واحتق السوق، وكان لابد من عودة التعادل بوسيلتين: إما بالمبادرة إلى زيادة العرض فيعتدل السعر وتعود الحركة لطبيعتها للسوق، وإما أن يعذر إيجاد العرض، فيظهر قانون آخر هو قانون التعويض، خلاصته أن سلعة أخرى متشابهة إلى حد ما في الوظيفة للسلعة النادرة تحتل مكانها عوضاً عنها في سوق العرض. كذلك الحال في الميراث يجري، وفي التعادل بين الصادرات والواردات، وفي معادلة الميراثيات بين الإيرادات والمصروفات وهكذا وهكذا... ما الاقتصاد إلا تعادل بين عوامل مختلفة تتحرك طول الوقت في الكيان المادي للأفراد والأمم، وإذا اختلف هذا التوازن فترة، فلا بد أن يعادل نفسه بنفسه بقوانينه الذاتية.



وللتعادل أداته المعاملة التي يستخدمها دائما في كل محيط :  
سواء في العلم أو في الأخلاق أو في الفن أو في الفكر أو في  
السياسة أو في الاقتصاد إلخ . . . هذه الأداة هي ما يسمى برد  
الفعل . كل فعل في كل محيط له رد فعل . وما رد الفعل هذا  
سوى آلة التعادل للفعل إذا أسرف وجار واختل توازنه  
وحاوز حدوده . رد الفعل أو عبارة أخرى : رد التعادل إلى  
المعنى الذي يحرف إلى مداه وبهاية . . . ذلك هو معناه  
الحقيقي .

فالتعادل إذن عمل يحفز رد محركين . رد فعل وانعوض .  
وعمل مظاهر التعويض من أوضح ما يصادفنا في الكائنات  
جميعا . فكل صعب تعوضه قوه . وكل نقص ته به زيادة .  
فالحلة رقيقة الجناح ولكنها أحادة الأبره . واثقل في الوزن  
والحسم غالبا ما يكون خفيف الطن والروح ، والمقيمة في  
جمال الوجه أو الحسد أو الشكن كثيرا ما تكون غيبة في  
جمال النفس أو الخصال أو العقل . وهكذا وهكذا . . . ذلك أن

التعادل لا بد ان يتم على أى حال ، فكل فعل لا بد له من رد  
فعل . وكل ضعف لا بد له من قوة مقابلة . وكل نقص لا بد  
له من زيادة معادلة . فالشر والضعف والنقص والمصح ...  
حالات في الكائنات لا يمكن ان تقوم بنفسها دون وجود  
اضداد تعادلها . وكل المشكلة هي أن الكائن العاقل وأعلى  
الإنسان ، هو وحده الذي يحل أحيانا تلك الحقيقة ، وإذا  
لحقته حالة من تلك الحالات ، وقع في الأس ، فلم يسع الى  
اكتشاف القوى المعادلة الموحدة لديه وهو لا يدري .  
في حين أن الكائن العريزي أى الحيوان أو النبات لا يقعد  
يائسا ولا حامدا ، بل يدرك بمعارفه العريبيه أين يجد قواه  
المعادلة .



أشرت منذ لحظة في صدد الحديث عن التعادل بين قوة  
الحاكم وقوة المحكوم - إلى رجال الفكر ، باعتبارهم المهدون  
الذين تسرب من خلاله قوة المحكوم في عهد السلطان المطاق .  
وهذا قد يدعو إلى التساؤل ما هو الفكر وما هو السلطان ؟  
للأجابه عن هذا السؤال يجب أن نتصور مرة أخرى ذلك  
الرجل الممزل في الخزيرة النائية . هذا الرجل كيف يقضي  
حياته ؟ إنه ولا شك يعمل في مهامه ليوفر لنفسه المأكل  
والملبس ، المأوى فهو يقطب ثمر من الشجر . ويصنع من  
الأعصان كوخا ، ويسبح من بعض الألياف ثيابا . . . أى  
أنه مباشر العمل الضروري لحياته المادية . فإذا جاء وقت  
الراحة واضطجع في الظل الوارف ، وأرسل بصره إلى السماء  
الصفية بدأ يفكر في حاله فلا لنفسه وبعد ؟ . . من أنا ؟ ..  
وما معنى حياتي ؟ . . أهي تسرقني ؟ . . نعم إن حولي أشياء

جيلة ٥٥٥ ما هو الجمال ٥٥٥ هو ادراكى لخلق الله ...  
ومادمت قد وعيت الانعام فأنا اشكر وعى آخره  
التمنى .. انى اتمنى ان اكون على صورة تعجنى ... تمازى  
انعاما . صورة أوصى ... مادمت قد وعيت الأفضل  
لى . . فخاصرى اذن لا يعجنى تمام . . اذن أنا اسعد  
وضعى .. على أى صورة أوصى أود اذن أكون ؟ .  
هد الكرواح أولا يحب أن يصير متسعا مرتعاً ، لأشرف  
منه على البحر ... وهذا البحر يحب أن اسبح فيه ...  
ولأصع اذن قارباً ... فاداً صعدت القارب فاني أستطيع ان  
احيط بالجزيرة وأعرف كل شواحنها ، وقد انمكن من  
استكشاف جزيرة أخرى قريبة إلخ ... هدا هو التفكير ...  
وقد يؤدى هذا التفكير الى العمل . فيهض هذا الرجل في  
اليوم التالى ليحقق بالفعل كل أو بعض ما فكر فيه . وقد  
يصدف من العوائق والصعوبات ما يصرفه عن تحقيق أفكاره ،  
فيكنى بعمله اليومى المعتاد ويحس بسخر من تفكيره ، ويهزأ

بترمه ونقده لوضعه . وهكذا : إما ان يحج الفكر في توجيه العمل ، وإما ان يحج العمل في حق الفكر .

فاذا فرضنا ان رجلاً آخر قد هبط الجزيرة . وأصبح في الجزيرة رجلاً ان مجتمع صغير وكان أحدهما أقوى عملاً والآخر أقوى فكراً . فما الذي يحدث ؟ . ما من شك في أن أحدهما سيؤثر في الآخر وهذا التأثير سيختلف في المدى والصفة تبعاً لسلطان كل منهما . فإما أن يظهر سلطان العمل ويحج الفكر لإرادته . وإما أن يظهر سلطان الفكر فيه حجه العمل حسب مشيئته . وإما أن يحتفظ كل منهما لسلطان معادل تحده الآخر ، فيكون التوازن الذي يحدث من انفراد أحدهما بالسيطرة انفراداً طاعياً .

وإذا تنقلنا من المجتمع الصغير في هذه الجزيرة إلى المجتمع الكبير في الأمم والشعوب . فإنا نجد الصراع بين هاتين القوتين ، قوة العمل وقوة الفكر ، يحتل حيزاً الأكبر من تاريخ البشرية . فالعمل من قديم نشر السلطان المادية التي

تتولى أمور الناس ، فافعل . والفكر يمثل في السلطة الروحية  
التي تنصرف وتنفذ وتفتح للناس الآفاق التي يمكن أن يمتد إليها  
التطور الإنساني .

ولعل أول مطهر للسلطان العملي هم الملوك . وللسلطان  
الروحي هم رجال الدين والصراع بين السططين معروف  
من قديم . أما رجال الفكر من فلاسفة وشعر ، وعلماء  
وأدباء وروائيين ، فإنهم لضعفهم وفقرهم وتمسكك الرابطة  
بينهم ، قد اضطروا في العصور القديمة إلى خدمة الأقوى  
والأغنى ، هم الملوك . وبقى رجال الدين يصارعون إلى أن  
صعب سلطانهم بضعف سلطان الدين نفسه ، وخاصة في العصور  
ال حديثة على أثر هذه المعنى . وركود التوحيد الروحي .  
عني أن التقدم "العلمي" أعني قدرد إلى حد الفكر سلطانهم  
المفقود ، فبدؤوا يظهر ورر بمطهر "قوة المستقلة في إطار  
لديمقراطية التي أصبحت "الملوك" . ونورت "شعب" ومكنتها  
من اقتناء الآثار الفكرية . وصار العيش ، حد الفكر .



والعصر الحديث إذن لم يعد عصر الصراع بين الملوك  
ورجال الدين .

فما الذي حدث اليوم لقوة العمل وقوة الفكر ؟ إن  
الاجابة عن هذا السؤال تلخص كل روح العصر الحاضر .  
فقوة العمل اليوم يمثلها حكام من جميع الشعب ، يصلون إلى  
السلطة عن طريق الأحزاب والانحياز وسواء أكان  
الحكم في أيدي أحزاب متعددة تقوده ، أم في يد حزب  
واحد يسيطر وحده على الشعوب لأن هي التي تحكم نفسها  
بنفسها . وعندما يقال إن شعبا يحكم نفسه فمضى ذلك ، لاطع  
أنه أحزاب حكامه من أساتته وهؤلاء لا ينام هم الذين  
تتركز أيهم قوة العمل .

على أن هذا الوضع الحديث لم يغير الشعور الخفي الذي  
يكمن العمل نحو الفكر . فقوة العمل التي تمثل التسديد ،  
نخشي وتكره دائما قوة الفكر التي تمثل القدوة لوجهه .  
إن العمل ، في كل زمان يحاول أن يدمد الفكر ،

بإطاعة . هي عهد الملوكية يوم كان رجال الدين هم العالمين  
بمهمة القدوات وتوجيه السلطان الملوك ، كان الملوك يحاهدون  
دائمًا لحفص هذه الأصوات المرتفعة إلى جانب إرادتهم ،  
فتارة يرغبون ويسمبلون ، وتارة يهددون ويخيفون ، وتارة  
يستولون عود على القوة الروحية ويعلمون أنهم هم الرؤساء  
الحقيقيون للدين .

في امصر الحديث يتعرض الممكر ، لعين الخطر ولكن  
في صورة جديدة . فالحكم الديمقراطي أو الشعب لا يستطيع  
في كل الأحوال أن يحفض صوت الفكر ، الحر قهرا  
وغصدا . ولكنه يستطيع أن يلغي وجوده إلهاء أن يستدرجه  
استدراجا إلى حظيرة السياسة العملية . وحتى دخل حل  
الممكر تلك الحظيرة فقد بطل نقده وتوجيهه وتفسيره وأصبح  
مضما إلى نظام معين . يسير في اتجاهه ويعمل بتعليماته  
ويحضع لأرشاداته . وبذلك يحبب الحزب السياسي فكريا تطبيقا  
مناهضا لإرادته ، ويكتسب جديدا مطيعا يأتمر بأوامره .

وهذا الاستدراج للمكر كي يقع في حيلة العمل ، يتم  
في العصر الحديث بواسطة شبك ونفاق صنعت بمتهى البراعة :  
شاك ونفاق في صورة نظريات أدبية وفلسفية تؤدي كلها في  
النهاية إلى أن يلتزم المكر بالعمل التزاماً يضر بمقومات  
حياته . أو يخضعه له احتضاعاً يقضي على كيانه الدائم .

وبعض الواضعين لهذه النظريات من رجال المكر  
أنفسهم لم يقصدوا إلا صراخ المكر ، وسكهم انحرافاً تحت  
تأثيرات مخدعة . منها حين يعضهم إلى العمل حيناً أو يقدم  
الثقة في قوة المكر الأدبية خصوصاً في عصر بلغت فيه  
المادية أوجها وعصفت فيه الحروب بالقيم ، وزلزلات الظلم ،  
وتعملت آثارها المدمرة في عوس الأفراد والمجاعات ،  
وأصبح لكل شخص على الأرض مشكلة يريد لها حلاً ،  
وأستل ينظر عما حوالياً . وأحسن رجل المكر أن مهمته قد  
ازدادت عساً ، ومثوايته قد ثقلت ورنأ . وخشى أن يكون  
القلم في يده غير كاف ولا شاف ...

هذا الايمان المزعزع بقوة الفكر قد دفع بعضهم  
إلى الانحراف في سلك حزب من الأحزاب ، فانتقل بذلك  
إلى رحل عمل . وانتقل فكره داعية لحزبه كما دفع بعضهم  
إلى الحيرة بين الأحزاب المختلفة . والفضال في المبادئ  
المتعددة ، بنقاده القلق وحسب الأمل ، إلى أن ينتهي به الأمر  
إما إلى تأليف حزب خاص يخدم فيه فكره . وإما إلى  
تأجير الفكر أو البرع به للخدمة في كافة ميادين السياسة  
والحكم ...

في كل هذه الصور ، ما ارتفع منها في المعنى وما انخفض  
رى رحل الفكر قد ضعف ، شك واستسلم وترك مكانه  
هلهلما . وحرى يضم تحت رايه السلطة العميلة . وبذلك هرب  
من رسالته الحقيقية تلك رسالة التي تعتبر الفكر قوة  
مستقلة معادلة وموارنة ومرافقة لقوة العمل ،

وهذا التعادل بين لقوتين ينص إذاً بلع أحدهما الآخر  
واحوف دائماً على الفكر من خدم لاسلحة أي الحكم

هو الأقوى . وهو الذى اعتاد أن يستلج الفكر .  
فواجب رحل الفكر إذن أن يحاط على كيان الفكر  
وأن يصون وجوده الدائى حراً مستقلاً . وأن يصمد به  
فى وجه كل عدوان لأنه هو الضمان الوحيد على هذه الأرض  
الآن تجاه الحراف قوة العمل الاعراف "طاعى المدمر .  
لكن هل معنى حرية الفكر و استقلاله أن ينحصر  
أو يعزل ، كما يتم أحياناً ؟ ... استقلال الفكر شىء .  
أو الانعزال شىء . آخر المعزل لا يتأثر ولا يؤثر ، فهو شىء .  
غير كأن "الدسة إلى العير أى المجمع . والفكر الذى يعزل  
عن العمل شأنه شأن الفكر الذى ينسعه العمل . كلاهما  
لا وجود له . إنما المقصود "استقلال الفكر هو أن يكون  
له كيان خاص وإرادة خاصة فى مواجهة عمل ، حتى يستطيع  
أن يتأثر به ويؤثر فيه .  
قد تسألنى ولماذا نفصل الفكر عن العمل ؟ ألا يمكن  
أن يندمجا ويتحدآ ؟ ..

جوابي أن هذا مستحيل .

لأنهم عندما يتحرك ويتحدان يصبحان شيئاً واحداً  
هو العمل .

والمضرب مثلاً سطا . أنت تفكر في السفر إلى الريف  
للزوجة . فإذا سافرت بالفعل فقد انقلب تفكيرك إلى عمل .  
وإذا لم تسافر فإن الذي حدث هو التفكير . فإذا اندمج  
التفكير واتحد مع العمل . فعني ذلك أنك سافرت أي أصبح  
العكس عملاً أي أنه لم يعد هناك تفكير وعمل . بل عمل  
فقط . . . لأن التفكير انتهى . . . تلعب في جوف العمل .  
قد تقول : إن كل عمل هو إذن نتيجة تفكير سابق ؟ . . .  
هذا صحيح .

عمل هو تفكير كحركة وعمل . . أو إرادة تجسدت في  
وضع هائي . و فكر هو إرادة حرة سائلة قابلة للحركة  
والتكيف والتطور .

فأنت عندما تفكر في السفر إلى الريف لم تهتد طبع

أن تعبر هذه الإرادة وتحركم وتطورها كيفما شئت ..  
ولكن إذا تحولت هذه الإرادة إلى عمل وتم التفريقان  
"مكرة إلى كانت طليقة قد تحجرت بمجرد سقدها .

فالعامل لإرادة تحددت وتقيدت والتزمت بوضع خاص .  
فالالتزام إذن من صفات العمل .

والحرية من صفات الفكر .

والفكر الذي يلتزم ينقلب إلى عمل .

وهذا الضغط هو الذي يحدث في الأحزاب السياسية  
والاجتماعية . فالبرامج الحزبية أى المذهب السياسى أو  
الاجتماعى هو فكر نصيد أى انتم به الحرب .

فانضام رجل الفكر إلى حزب من الأحزاب معناه  
تقيده والتزامه بتفكير الحرب . وهذا الالتزام ياقص  
الحرية التى هى جوهر رسالته "مكرية . لأن التزامه بمذهب  
حزبه يحرمه مباشرة سلطة الفكر فى المراقبة والمراجعة .  
هذه السلطة الحرة التى هى أساس مسئولية الحقيقة . وهو

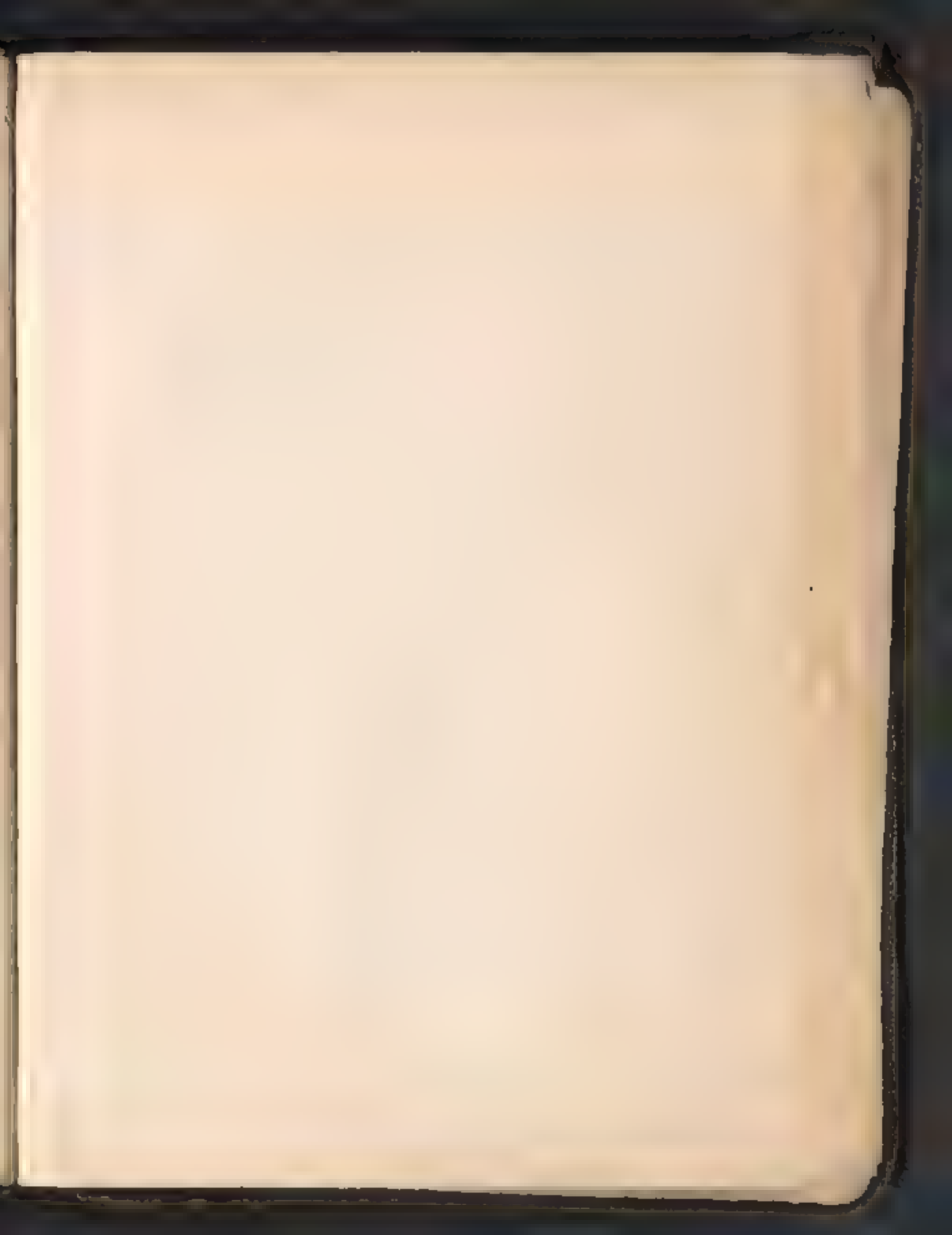


بذلك إيمان يخضع ويرضخ . الحزبه ويذل راضيا بخياراً عن  
وطيعة رجل الفكر ويصبح رجل عمل . واما أن نصر على  
الصمود والاحتفاظ بسلطة وطيعة الفكرية وبنافس أفكار  
حره ويحجمها ويطورها ، يطلق الحرية التي تخولها له مسئولية  
رجل الفكر الحر ، وعندئذ سيحدد نفسه منهو لاءن الحزب  
ومطروداً أو مضطهداً . . .

على أن ضعف أغلب رجال الفكر في العصر الحاضر ،  
وانهيار إيمانهم برسالتهم وقوة تأثيرها ، قد ربط الفكر في  
عجلة العمل ، وجعل الأقلام في خدمة الحكومات واخذل  
بذلك التوازن والتعادل بين القوتين .

ولعل اختلال التعادل بين قوة الفكر وقوة العمل هو  
من أسباب الكوارث التي تهدد هذا العصر الحديث . فإن  
طغيان قوى العمل في هذا العالم وانحرافها نحو الاستعباد  
والاستعمار والسيطرة وإثارة الحروب المدمرة ، دون أن  
تجد أمامها قوى روحية أو فكرية معادلة تشكل

لردها إلى الصواب . هو ولا ريب من أهم مصادر  
ثق لدى يحيم على الدنيا . ويملاً النفوس شعور  
من يحرف سريعاً إلى هاوية . . .



عرفنا اذن قطبي النشاط الانساني وهما : الفكر والعمل .  
وقلنا لماذا يجب ان يحتفظ كل منهما . بقا . ته الدائنة ونظر  
المذهب التعادلي حتى يتم بينهما التوازن . لأن هذا التوازن  
هو الذي يكبح حجاج كل منهما ، ويحول دون طغيانه المفسد  
لكيان البشرية .

ولنقص الحديث لأن على الفكر وعاد الأحرار  
الساحنة التي تهدها : وهي الأدب والفن .  
هنا أيضا مجده التعادلية ، تقيم الأدب والفن على أساس  
قوتين يجب ان يتعادلا هما : قوة التعبير ، وقوة التفسير .  
فالآثر الأدبي أو الفني لا يكتمل خلقه ولا يهض مهمته ، لا  
إذا تم فيه التوازن بين القوة المعبرة والقوة المفسرة .  
ما هو المقصود بالتعبير ها ؟ أهو الشكل ؟ ... لا ...  
لأنه ليس الشكل فقط . أنه شيء أكثر من ذلك . ولا ضرب

لك مثلاً بسيطاً : فلفرض أنك سمعت بأدارة من الوادريلقبها  
شخصان. احدهما منكلم عادى. والآخر يحدث لىق م هو ب .  
هذه البادرة الواحدة تتخذ عدئذ مظهرين مختلفين . ففى فى  
احالة الاولى تدو مجرد حادئ . أما فى الحالة الثانية فتدو هذه  
الحادثة نفسها وكأئ لوئت و اصبئت وتحركت بحياة نابضة ،  
لا تدرى من اى أئئها ولا كيف نصحت فيها . تلك هى قوة  
التعبير اما البست فقط طريقة الاراز والاطهار لان هذه  
الطريقة لا تقوم وحدها مبر الحادثة التى فى حوقها فالتعبير  
اذن ليس مجرد الشكل بل هو الشكل والموضوع معا . هو  
الشكل والشىء الذى تمشكل فيه . هو البادرة والاسلوب  
الذى رويت به . فالاسلوب وحده بغير البادرة لا يعنى شئ فى  
دائه ولا يعبر عن شئ . فالتعبير اذن يستوجب وجود  
الاسلوب وموضوعه معاً . لان التعبير عن شئ . يحتم وجود  
الشىء .

وقوة التعبير هى أيضا توارن وتعادل بين قوة

الأسلوب وقوة الموضوع .

فإذا طغى أحدهما على الآخر فانك تشعر في الحال ان  
الوضع غير طبيعي فالأسلوب الدارع والموضوع الثاقب يثيران  
في النفس احساساً بالتكلف . وكلمة . التكلف ، هنا ليست  
بجاراً ولا مجرد وصف أدبي . بل هي ذات مدلول يكاد  
يكون مادياً . فان الأديب أو الفنان الذي يحتفل احتفالاً  
بالعزاء بأررار موضوع هزيل ، إنما يتكلف معاً مرا لا لزوم  
له . كما يرتدى ثياب السهرة ليجلس بمفرده في حجرته  
يتعشى بكسرة حمراء . . . فعدم مراعاة مقضى الحال تكلف .  
والتكلف في الأسلوب مع كاهو في الحياة . لأن شرط  
الحال الفني ان يثير في النفس احساساً بأنه مستق من نوع  
طبيعي . ومهارة الفنان هي في احداث هذا الشعور  
الطبيعي دائماً . فإذا أحس الناس أنه ان حاله خارج من بيع  
صناعي فقد أخفق .

كذلك الحال إذا طغى الموضوع على الأسلوب .

فالموضوع العظيم في الشكل السقيم يثير في النفس احساسا  
بالنحس . كمن يصوغ اللؤلؤة في حاتم من الصفح .  
اختلال التعادل إذن في الحالين بين قوة الاسلوب وقوة  
الذم . مع يحدث لشعور كذلك بأن الوضع غير طبيعي . .  
قد نأل : ما هو الاسلوب في الآداب والفن ؟ وما هو  
الموضوع ؟ . الاسلوب هو طريقك الخاصة في الظاهر  
بأغجاب الغير وشعوره ومكره ، يرى ما ترى ، ويحس ما  
تحس ويفهم ما تفهم .

وهذه الطريقة في الآداب والفن مردها إلى الاستعداد  
الفطري والمدرس الإكسابي والاجتهاد الشخصي . فلا  
بد من بعض الحسة ولا بد بعد ذلك من المدرس الطويل  
لمعارف الأعلام وأما اليهم من الأقدمين والمحدثين ولا بد  
أخيرا من تصرفك الخاص لتلائم وتوازن بين المحاكاه  
والابتكار . فان المحاكاه اذا غلبت عليك فأنت لم تنصف  
شيئا إلى من سبقوك . وإذا أسرعت في الابتكار فقد قطعت



العلة بيدك وبين الآخرين ، وامتصت حلقك من سلسلة  
التطورات الطمعة في حياة الأدب أو تاريخ الفن . هكذا فعل  
شكسبير و تهورن . فيما قاما به من محاكاة وإبداع .

أما الموضوع في الأدب والفن . . فهو كل ما تستطيع  
أن تثير به اهتمام الناس ، على نحو غير مسبق ولا فارع ولا مستبد .  
وليس الموضوع العظيم أو النافع شروط معينة ، أو معلم  
محددة . فتقديره متروك لعمرية الأدب أو الفنان . فقد  
يتناول موضوعه السحرية موضوعا نحسه تافها ، فيداهو بحلق  
منه بقية أو ريشته أو مطرقته أو ألحانه شيء يثير اهتمام  
الناس في جيله وفي جميع الأجيال . ولموضوع لا تحدده صفة  
العظيمة أو النافعة إلا بعد أن يصب فعلا في الأثر الأدبي أو  
الفني . فالوردة أو الأنة أو النماحة قد تكون موضوعا  
تافها أو عظيما تبعاً للفنان الذي يتناولها . أي تبعاً لدرجة  
خبرته وإحساسه وقدرته على الصعود إلى حقائق الأشياء ، أو  
تبعاً للطريقة التي يختارها الفنان . فهو موضوع هاملت ، كان

من الممكن أن سقى موضوعاً عادياً لو عالجها شاعر  
 عادى . وموضوع ، هاملت ، نفسه كان يمكن أن يصح  
 في خفة موضوع ، زوجات وندسور المرحات ، لو أن  
 شكسبير اختار أن يحسن منه مسرحية ضاحكة غاشة بدلا من  
 تلك المأساة العنكبوتية الحديثة . وشكسبير كان يدرك بسليقته  
 الفسنة معنى التعادل بين الأسلوب والموضوع فكان إذا أراد  
 الخد تخد أسلوبه ما يناسب ذلك من العمق . وإذا أراد الهزل  
 خف أسلوبه فلم ينقله بكون فكره . كان إذا أراد للمكر  
 أن يتألق كالجوهره كي يضيء . حقائق الكون صاعده في معدن  
 نفيس من أسلوب عميق . ، إذا أراد الدلالة أن تصطبك لتلمو  
 ساعة عن تعب الحياة استخدم معدن رقيقا من أسلوب خفيف .  
 ولو أنه صنع العكس . وكتب ، هاملت ، بأسلوب  
 زوجات وندسور المرحات ، لكان كالمصنوع الذي لا يستطيع  
 أن يلائم بين الجوهر والخاتم والمقصود بالأسلوب هنا  
 ليس بالطبع اللامعة وحدها . بل ما تحمله اللامعة في جوفها من

ألوان الصور والأفكار . وأسلوب الفنان يعنى "طابع" واحد  
بلا شك في سمته العامة . ولكنه يتغير في درجة الدسامة أو  
الكثافة تبعاً لألوان الطعام العنى التى ينتجها . فطابع وشكسیر ،  
واحد في فیه ، ولكن درجة الدسامة في أسلوبه تختلف  
بأحلاف أنواع مسرحياته كذلك طابع "تهوفر" واحد  
في موسيقاه ، ولكن درجة الدسامة تختلف في بعض السمفونيات  
عنها في بعض السوناتات .

وهذه الدسامة والرقه والعمق و خفة حالات تعاقب  
على "فمن" ، تعاقب الليل والنهار والخريف والربيع . دون  
أن تحصى لترتيب منطقي . فقد يرى العصور أن المطلق يقضى  
أن يبدأ الفنان حياته بخفة وينتهى إلى "عمق" . ولكن هذا  
المنطق لا يحصى له الفنان . وشكسیر حد أن يهرقنا بعمقه في  
"هامت" ، أصحك بحفنه في "العبرة بالخواتيم" وتهوفر حد  
أن وضع في ساهو بينه الحاميه العظيمة روح الفلسفة . تجده  
قد مزج ساهو نيته لثامنة الرقيقة بنسيم الحفة ، "الفنان لا يسير

دائماً في خط مستقيم والطور عنده ليس الانتقال المباشر  
من حسن إلى أحسن أو من عميق إلى أعمق ولكنه كالطبيعة  
يتطور من خلال التجربة الداتية تبعاً لقانون العمل ورد  
العمل . أى من خلال تجارب متباينة تكشف عن امكانيات  
الدات في اتجاهات المختلفة . والعمل ورد العمل هما أداة  
التجربة الكاشفة عن الامكانية . لا يعد الانسان وحده ،  
بل عدد الكائنات جميعا . فالشجرة تنتقل من الاخضرار في  
الربيع إلى الدبول في الخريف ، ثم تعود إلى الاخضرار ،  
ثم إلى الدبول ، وهكذا دواليك . . . وقد يبدو في ذلك أنها  
تدور حول نفسها ولا تتحرك ، ولكن هذه الحركة حول  
نفسها هي في ذاتها دليل الحياة ، وهي القوة الدافعة إلى الأمام  
بعد ذلك ، أى إلى التطور من خلال الأجيال الأخرى  
المتعاقبة في الأشجار . كذلك الحال في حياة الأرض  
والكواكب ، فهي لا تدور في خط مستقيم على نحو مباشر .  
بل تدور أولاً حول نفسها ، ثم حول الشمس ، ولكنها مع

ذلك تسير في الفضاء إلى الأمام في إخبار المجموعة الشمسية  
بأكملها. كذلك الحال أيضا في الإنسانية. فإن الحصار فيها  
يقادها الفعل ورد الفعل. فمع حيا في الظلام، ثم تعود  
إلى النور، في حركة حركة الليل والنهار. ولكن مع ذلك  
سير... فكلمه الطور إذن لا تعنى عند الطبيعة والشرية  
والفكر والعن، السير إلى الأمام سيرا مضرداً مباشراً،  
ولكنه التقدم خلال احداثات وعقبات الفعل ورد الفعل.  
ومن جميعا من بشر وأرض وكواكب تسير ومن ندور،  
ومن إلى العدم عن طريق دوره الليل والنهار وتعاقب  
الظلام والنور... فكرة الطور على هذا الوجه تجدها في  
سرحيتي شهر راء.

ومع ذلك، من يدري حقيقة ما اسميه أمور والظلام  
والارتفاع والانخفاض، وعمق والخفة والندامة والرفقة؟  
لعلها كلها، على اختلاف، حركات ضرورية لتكوين الحياة  
حياة. ولعلها كذلك في محيط الأدب والفن. هي العناصر

الضرورية التي يتألف منها « التعبير » .

فذلك التعبير عند الأدب أو الفنان لا يمكن أن  
تظهر كل أشعتها وألوانها وأنعمها إذ لعبها على وتر واحد .  
مهما يكن هذا الوتر قويا بليعا صافيا نقيا . ماذا كان بعض  
وماذا كان يفصل الفن الإنساني ؟ أن يخرج لنا شكسبير كل  
مسرحياته على نسق « هاملت » ، « أسلونا » و « كراواتنا » .  
أو يلون لنا كل هذا التلوين في التعبير ، فيجد مرة ويمرل  
أخرى ، ويعبس ثم يفسم ، ويرتفع ثم يتبسط . ويظهر  
مأملاتنا بفهمه صاحكا ، ويكون تارة فيلسوفا تارة ممرجا .  
وحينا شاعرا ، وحينا سخر . . . إن عظمة شكسبير هي في  
أنه استطاع أن يكون كل ذلك وقدرته هي في أنه ملك من  
أوتار التعبير مقدارا أخرج كل الألوان وكل الأنعام وكل  
الاصوات وكل الضحكات . . .

ذلك هو « التعبير » . . .

قوته ليست في مجرد ارتعاعه بل أيضا في اتساعه .

والتعبير من غير شك هو كل شيء في نظر الفن .  
واكن « التعبير » ليس كل شيء في نظر ( التعادلة ) بقوة  
« التعبير » عدد « التعادلة » يجب أن تقتصر في الأدب والفن  
بقوة « التفسير »

ما هو « التفسير » ؟

هو الصورة التي يلقى على موضع الإنسان في الكون  
والمجتمع .

فالآداب أو الفن التعادلي يجب أن تتوازن فيه بقوة  
المعبرة والقوة المفسرة .

« القوة » معبره وحدها لا تكون ، لأنها قد تكشف عن  
بجود « حودها » ولكنها قد لا تشع ضوءا يكشف عن وجود  
غيرها . « القوة » المعبرة قد تكون حبيبة في ذاتها كالأولاد .  
ولكنها مثل حبيبة جملة لا تضيء غيرها . إنها ليست  
فالمسألة المتألفة التي تشع في الظلام أضواءها تكشف عن  
وجود أشياء أخرى .

والأديب أو الفنان قد يبرع عن الحياة ولكنه لا يفسرها .  
أى أنه قد يجيد وصفها بالحالة التى هى عليها ، أو يحملها بوشى  
مصطع ، أو يقصها بتشويه مقصود ، وهو فى كل هذه  
الاحوال يريد اللغو بأداة التعبير تارة ، أو استعصامها للدعاية  
تارة أخرى

والكن الوفور عدد حدود التعبير ليس كل مهمة الأديب  
أو الفنان التعادلى لأن التعبير وحده على علو قيمته الأدبية  
والعبرة . قد يخبس أهداف الأدب والفن فى نهق التهذيب  
الروحي والامتناع النفسى ومهما يكن من نبل هذه الأهداف  
وكمايتها . فإن المطلوب من الأديب أو الفنان . خصوصاً فى  
العصر الحديث . أن تمتد رسالته إلى ابعاد من هذا النطاق .  
المطلوب منه هو ان يهدى ويمتدح ثم يلقى فى نفس الوقت  
ضوءاً كاشفاً موحياً فى طريق الإنسانية .

فالادب أو الفن يجب ان يكون معبراً ومفسراً . . أى  
ان تتعادل قوى التعبير وقوى التفسير فى الأثر الأدبى أو



الفنى . فاذا طغت قوة التعبير طغيانا بالغا وأن قسطا هاما من  
رسالة الأديب أو الفنان لم يبلغ للناس وإذا طغت قوة التفسير  
حتى كادت تتلاشى مخانها فوه التعبير . فإن صفة الأدب  
أو الفن ذاتها تهدد بالانهيار . 'د لا بد لو حودأى أدب أو فن  
من ضمان قوة التعبير قبل كل شئ . فهمة التعبير الأدبى  
أو الفنى . اى بالاحتصار ، الأديب أو الفنان يجب أن يوجد  
أولا أداة أسلوبه الرائعة البارة اقوية قبل النظر فى أمر  
الرسالة التى سحملها .

التعبير يشمل الأسلوب والموضوع أى الفكر والمضمون .  
وبه يمكن أن يتم الأثر الأدبى أو الفنى فى ذاته .  
أما التفسير فهو الرسالة التى يحملها الأثر الأدبى أو الفنى  
بعدئذ للشرية ، ليقول فيها كلمته عن وضع الإنسان فى  
كونه ولى مجتمعه .

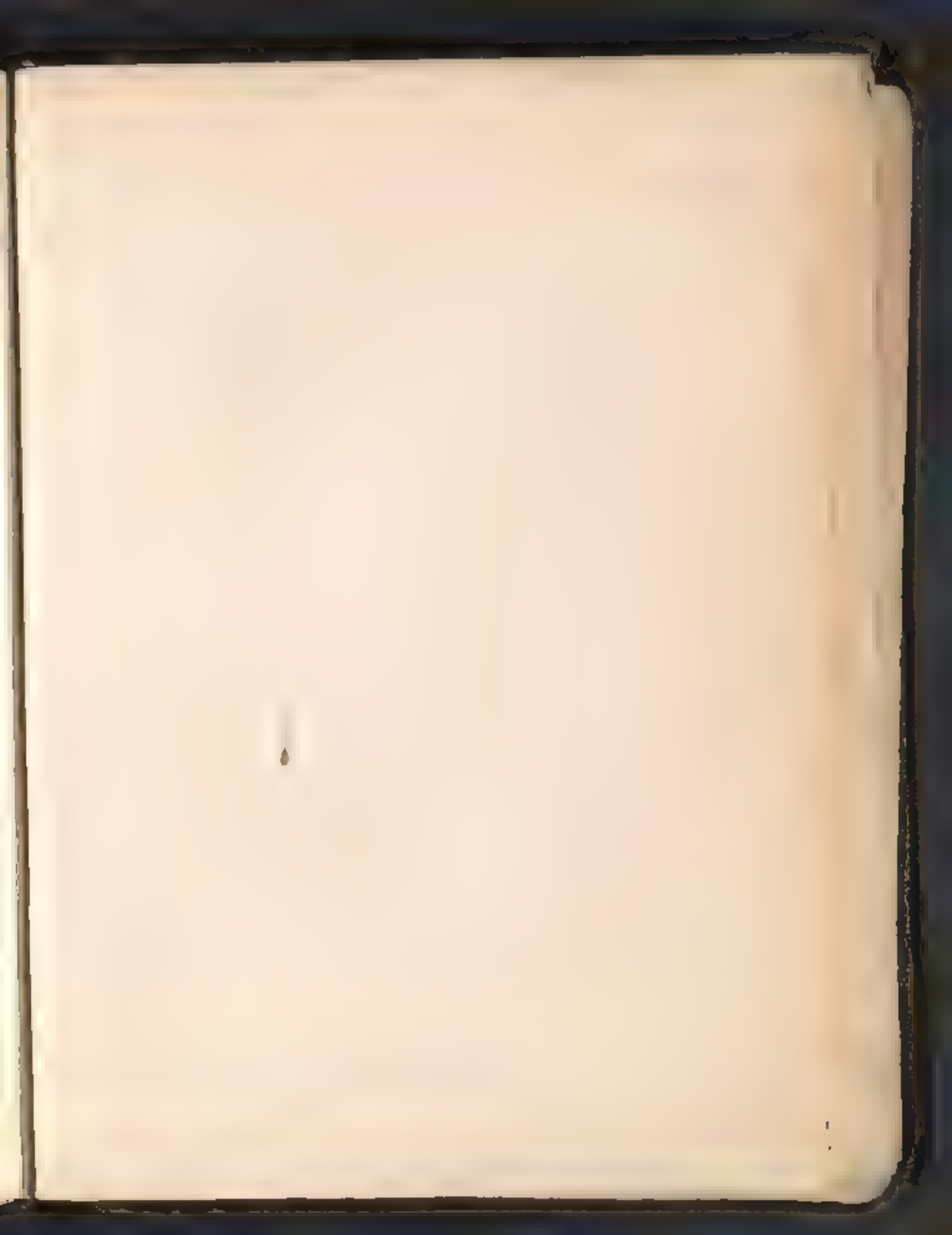
وليس كل أثر أدبى أو فنى يحمل تفسيراً أو رسالة فى هذا  
الإنسان . فكثير من الآثار رسالته هى فى مجرد روعة تعبيرة .

فالمحترى مثلاً هو تعبير . في حين أن أبا العلاء تعبير وتفسير  
 معاً . لأن الكثير من شعره يحمل اليبا رآيه في وضع الإنسان  
 ومصيره . وشكسیر هو في شعره انغزلی تعبير ، أما في  
 مسرحياته مثل « هاملت » ، وغيرها فهو تعبير وتفسير معاً .  
 ويتهو من في سوناتا ضوء القمر هو تعبير . سيما هو في  
 السمونية اثة يحمل اليبا كلمته في الإنسان والمطولة ، وفي  
 السمونية احامسة يقل اليبا قوله في الإنسان والقدر .  
 وكذلك في السمونية التاسعة ، وفي كثير من كونسيرتاته يريد  
 أن يقول لما شبتنا أكثر من مجرد اللحن الجميل .

والتعير وحده قد يؤدي إلى « الفن للفن » ، إذا أسرف  
 في الهيام بجمال الشكل والناق في المني على حساب المعنى  
 والمضمون

والتعير وحده كذلك قد يؤدي إلى « الفن الملتزم » ، إذا  
 أسرف في التقيد بمعنى خاص ومضمون معين ليس إلى  
 التحرر والاستقلال عنهما من سبيل .

فالعن لله هو حس الفنان في هيكل الشكل .  
والعن الملتزم هو حس العمان في سخن المضمون  
والسجن في الخليل يمع العمان من تلعب رسالته  
الكاملة . تلك الرسالة التي تنبع من الحرية دائما ، لنشر  
الحرية



قد تسألني بعد ذلك :

هل الحرية في الأدب أو في الفن ماقضة للالتزام ؟ . أليس  
للأديب أو الفنان أن يلتزم برأى يدافع عنه وسلعه للناس ؟ .  
وما دمنا نقول إن للأدب أو الفن المعبر المفسر رسالة يحملها  
للشريعة فكيف تكون رسالة غير التزام بالتسلخ ؟  
ما من شك في أن مجرد حمل رسالة بهذه التزام بتلقيها .  
ولكن الخلاف دائما هو في مصدر الرسالة التي يحق للفنان  
أو الأديب الحر أن يحملها ؟

هل يحق للمفكر الحر أن يحمي رسالة تصد من سلطه  
والعمل ؟ . هذه الحجة سيكون محرر آله مسجود . لا أداه  
مفكرة . . إذا آمن حقا بهذه الرسالة هل يجوز له الالتزام ؟  
في رأيي نعم .

ولكن من جهة أخرى لا يمكن القول بالالتزام بالرسالة

إلى الفكر عامة . لأن المفكر السليم هو الفكر المتحرك  
وحركة الفكر . معها حرية شك وحرية الشك معها  
حرية المراجعة للقيم والأوضاع .

فبلى أى مدى إذن بناح المفكر أن يراجع الرسالة التى  
التزم بحملها ؟ . . .

فإذا قبل له . . . لا يستطيع أن تراجع أو تناقش أو تتحلل  
بما التزم به . . . ذلك هو إلغاء الفكر وتحويله إلى  
إيمان

فتحن إذن أمام مشكلة .

لأن الالتزام الطويل الأمد برأى معين يؤدى إلى  
الآيمان . والآيمان يؤدى إلى تعطيل الفكر . والمفكر يجب  
أن يتحرك لوجود المفكر . والمفكر إذا فكر ناقش الالتزام  
وقد تؤدى مدقشة الالتزام إلى التحلل منه . . .

لذلك عندما ينسحب الرأى المزم من سلطة العمل أى سلطة  
حاكمة وير مدقشة الالتزام لا تناح ولا تشجع ، فيصح

### الرأى شبه إيمان .

ولكن الإيمان فى الرسائل السماوية مقبول . لأن  
الأمركاه متعلق بموضوع علوى بعدد عن متناول فكر  
نحن عندما تؤمن بفكر الله قد رضينا بخبرين أن نلتزم  
بتعطيل التفكير فى ماهيته وفى حكمه ، واكتفينا بالإيمان .  
اعلمنا أن فكرنا البشرى لا يصلح أداء لاد الك قوايين من  
هو فوق البشر .

ولكن السلطة الحاكمة أو السلطة الممثلة للعامل فى دوله  
من الدول ، مادا تعطى أمامها فكرنا ، ولتزم رأيها مؤمنين  
بها الإيمان الذى لا يقبل التمحيص ولا المناقشة  
ولا المراجعة . . . فالالتزام الدائم إذن برأى صادر من  
سلطة بشرية هو نوع من الإيمان لا يجب أن يفرضه شر على  
بشر .

أما الالتزام المباح فى نظرى للفكر أو لأديب أو  
الفنان فهو ذلك الذى لا يعطى تفكيره الحرة ولا يمتنع من

أن ياقشه وراحته ويبدله في أى وقت شاء . سواء كان  
هذا الالتزام صادرا عن رسالة خاصة أو رسالة عامة للدولة  
كلها أو لحزب فيها .

ولقد سبق لى أن عرضت موقفي تجاه الالتزام في الأدب .  
فقلت في كتابي « في الأدب » ، « أن الأديب يجب أن يكون  
حرا . لأن الأدب . إبداع . أيه أريد وحدانه ذهبت عنه  
في الحال صفة الأديب . فالحرية هي نوع الفن . وبغير الحرية  
لا يكون نص ولا فن . لأن الذي يقول الفنان أو أديب  
الرم يكدا أيك وفقد منه إيماء التزام الأديب أو الفنان  
شيء يسع حر من أعمال نفسه . فإن لم يسع الالتزام حرا  
من قده وبث وعفته فلا تلزمه أنت ولا تلزمه قوة في  
الوجود . حيث يمكن يكون الالتزام حراما كإن الأديب  
أو الفنان لا يحرره لشعره في رأي هو لا لرم  
الذي يسع طاعته . وهذا لا يعارض لائتماره مع الحرية .  
قد استأنس من يظن هذا رأي على ما كتبت ؟



فأقول لك أرجع كذلك إلى كتابي من الأدب، فقد ذكرت فيه .  
 أن الموقف مختلف كل الاختلاف فيما يخص إنتاجي أما على  
 وجه خاص، وعلى الرغم من مبادئ الحرية فأر عملي في  
 أكثر كتبي هو من الأدب الملزم . . . أني منذ أسكت  
 بالقلم ما حاولت قط أن أشيء لنفسى أسلوباً حملاً يتميز  
 بحزالة اللفظ وحسن الدلالة، يسهوى القارىء بحلاوه  
 الحرس والربيع . . . هذا العمل الذي في الأسلوب ما حطرت لي  
 أن أمارسه . ولكي أردت أن أتعد من الأسلوب خادماً  
 لأهداف أخرى غير مجرد التأمين . هذه لأهداف كما  
 ظهرت واضحة للذات كانت قديمة وشعبية وإصلاحية في  
 عوده الروح . وفي عصفور من شرق . . . يوميات  
 نائب في الأناضول . وفي مسرح المجتمع . . . وكانت  
 مدته متصلة بمصير الإنسان في أهرام الكرم . وفي  
 شهر راد . وفي سماء الحكيم . وفي البحار . وفي  
 الملأ أوزيب . الخ . وهذه القصص لم تكتب لأظهار

جمال الأسطورة . كما كنت ومحبون إلى ، لشوقي ، فأظهرت  
جمال الشعر والعواطف والشعور ، وأبرزت روعة الفن  
للص نفسه . إنما كانت هذه الأساطير ، القصص وسيلة  
لهدف آخر ، لا غاية في ذاتها . . . قضية خاصة بالإنسان  
ومصيره ؟ . . .

فأما في الحقيقة لم أكتب لأعبر فقط بل لأفسر . ولقد  
كان من الممكن أن تكون ، عودة الروح ، مثلاً مجرد قصة  
تصور الحياة في حي السدة ربيب بين أسرة متواضعة ،  
وتحاكي أشخاصاً «بهين بالحياة يعيشون في صميم بيتهم وفي  
هذا الكنفية من حيث الفن . لأن خلق الحياة هو عمل في  
الفن كاف . وكفى ألهمت نفسي شعيراً خاص للروح المصرية  
ولم تنته . مهمة ذهنية عند حد العير والصور لبيئة وأشخاص ،  
بل اتخذت موقفاً ينم عن رأي معين وهذا الرأي استخلصه  
الفن الأدباء من روايات مختلفة وإن كان واحداً في جوهره  
فالباود و جان ديستيو ، قال

« إننا نلص مؤلفا من تلك المؤلفات انى لو وجدت  
عددا لبعثها « موريس بريس » بقصة النشاط القومى وليس  
لمدلولها غير تفسير واحد : هو أن الروح «عائدة إنما هي  
روح فلاحى مصر العريقة فى القدم . . . وقال الكاتب  
اليسارى النزع « مارسيل ما رتيبة » : إنه لمن الظاهر  
فيه فضلا عن ذلك وجود بعض عناصر أدب « الطلقات  
المفقودة » أو على الأقل أدب شعبي لاشك فيه . . وقالت  
الكاتبة « تبرير ميربان » : « إن عوده الروح ليس مؤلفا  
وليد الخيال ، ولكنه مستند على الحالة الاجتماعية لشعب فى  
حالة تطور تطور سريع . . . »

« عوده الروح ليست إذن قصة تصور حياة ، ولكنها بعد  
ذلك قصة تفسر حياة . وتفسير حياة شعب معه اتحاد رأى  
معين تجاه هذا الشعب . . . ولقد كانت لهكرة « روبرت  
القديمة انى تراكت على مدى خصاصات محدودة فى أعماق  
شعب المصرى فكونت منه قدره حمية تسعده فى أزماته

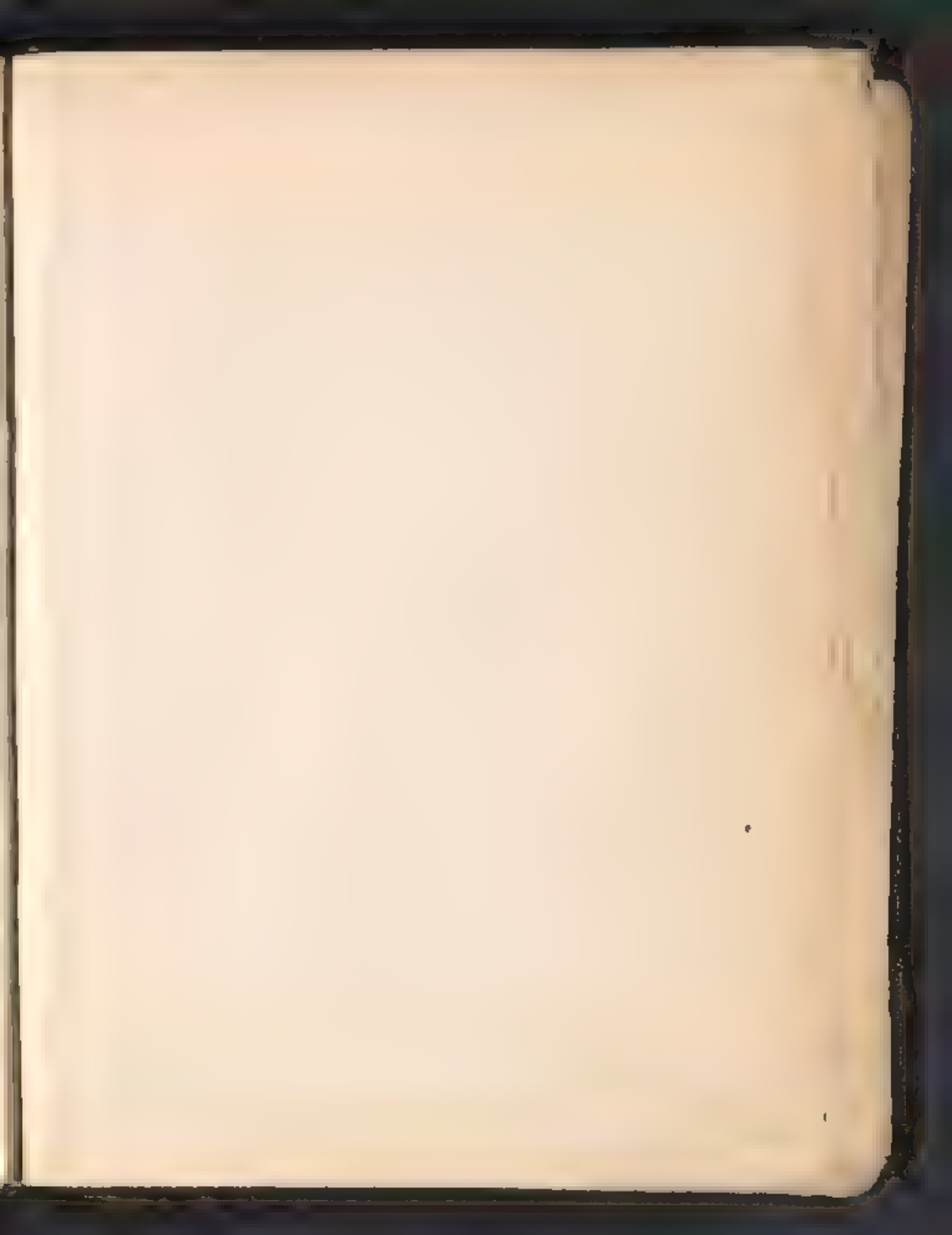
وترد إليه روحه كلما استهدف لخطر اللاشئ والانهيار . . .  
هذه المكرة التي اعتنقتها القصة كان لها أثر، كما لاحظ بعض  
نقادنا . في مجال العمل ، أى السياسة . هذا التفسير أيضا  
أى الرأى والموقف تجاه الحكام والمحكومين قد ظهر  
في . يرميات نائب في الأرياف ، فهي ليست مجرد تصوير  
لحياء الملاح ، ولكنها كما قالت محبته . سبكاتور ،  
الإنجليزية . إن في هذا الكتاب عن مهزلة العمد  
الاجتماعى أكثر من مجرد استكشاف . وكما حدث مع  
كتاب الروس في القرن التاسع عشر ، كما حدث مع كاتبنا  
ديكز ، يشعر الكاتب المصرى أن مجرد العطف  
لا يكتفى . . . الخ

من هذا التعليقات التي أذكرها ، تستطیع أن تجد حوا  
عن سؤالك . وتعرف انجاس من كبرى نفسها كما طلبت .  
وهنا أذكر أيضا ملاحظه لاحدم في تفسير مسرحيات  
الذهنية بأنها تكشف عن عمر الإنسان تجاه نفسه فقد

رأى أن هذا الوضع للأنسان سبق أن أبرزه سوفوكل و  
 أوديب ، ابرازا صادقا ، كما أظهره شيكسبير في روميو  
 وجوليت ، على أروع صورة . فالآلة قد ارادوا عامدين  
 ان يحطموا أوديب . والقدر تدخل تدخل مباشر ، على شكل  
 مصادقات متلاحقة فرقت بين روميو وجوليت . ولكن الذي  
 تم عندى في رأيه هو أنه لم يحدث أى تدخل مباشر ، لا في  
 هيئة ارادة علوية متعمدة ، ولا في صورة مصادقات طارئة ،  
 بل هي قوانين خفية تسيطر على اتجاهها الذى ، ويحدد  
 إرادة الإنسان ، فهوون لرمس في ، من شديف ، يعمل  
 عمله المعتاد . يسير قد ، ولا يعبر انجازه . ولا يعود إلى الو ،  
 ثلثمائة عام لجمع بين مشليا وبريسكا . فالقوة التي فرقت بين  
 مشليا وبريسكا ليست هي القوة تقديرية المعاكسة التي فرقت  
 بين روميو وجوليت ، بل هي المصادقة في أول الأمر تدفع  
 روميو إلى قتل ابن عم جوليت . ثم جعلت المصادقة في آخر  
 الأمر تحدث طاعونا يعطى . سول احمل إلى روميو

رسالة بما يدبر ، مما أدى الى المأساة ... كلا . ان المأساة  
المفرقة بين الحيين في أهل الكهف ، هي قوة طبيعة ...  
هي قوة الرمن أى المجتمع الجديد ... فريسكا أيقنت ان  
من المستحيل ان يقبل مجتمعها ومكرة اجمع بينها وبين رجل  
عاش منذ ثمانئة عام ... قوة المجتمع هذه ظهرت كذلك عندى  
في مسرحية الملك أوديب . فهو عند ما قيل له انه متزوج  
بأمه لم يتصور ذلك ، لانه لم يرها الا امرأه في تمام نصحتها  
فأراد ان يصمد كما أراد مثيلينا ان يصمد ، وان يحدى وان  
يبقى على أمرته ، ولكن جوكاستا — شأنها شأن ريسكا —  
لم تستصع عمل هذا خاطر ... إن قوانين المجتمع المتأصلة  
في أعماق كسانها ود حكمت عليها بالقضاء فشنتت نفسها ...  
إرادة الإنسان عندى إذن حرة في حدود خاصة وهذه  
الحدود هي قوانين . وليست إرادات طاغية . هي نواميس ،  
وليس مصادقات طارئة ... فالإنسان عندى عاجز حقا  
مام مصره في الهابة هذا المصير الذى تدفع اليه قوانين

ونواميس يحاول دائما ان يتخطاها، أو يحطمها... نعم...  
ان من يمعن النظر في هذه المسرحيات يجد مشليا يحاول ذلك  
ويمكنه يكافح ليقع بريسكا تتجاهل عقبة الرمن...  
ونجد شهر يار يحاول تحدى الواميس بمحاولة تحطيم بشرته.  
وتجد سليمان يحاول تحدى قانون الحب واقتحام قلب مهبس.  
وأوديب اراد تحدى المجتمع والتمقاء مع أمه روحه. وبجماليون  
اراد تحدى الآلهة ونحطيم التمثال الذي أفسدوا فيه بما  
يفجوه هم فيه من روحهم... جمع هؤلاء الأشخاص لم  
يستسلموا لمصيرهم الا بعد التحدى والمضال و"كفاح". لقد  
ارغموا ارغاما على التسليم في آخر الأمر لأن القدى  
المسيطره ليست من صنع البشر. ولكن يبقى "الكفاح". ولو  
صد المستحيل... وهو وحده صاحب البشر.





المفسر إذن في الأثر الأدبي أو الفني هو ماسط المسئولية.  
لأنه هو الراى . وهـ الموقف . ومادام هـك راى . فهـاك  
التزام به ، ومسئولية عنه .

أما التعبير فهـ حر طابق كالحياة نفسها . لم يقيد نفسه  
كما قلنا بالمغلافة في الكل فيحرف إلى الفن للفن ، أو يحبس  
نفسه في مصموم د تم معين ، لدات فصيح شأنه شأن الفن  
الملتزم

وهنا قد يخطر على بالك سؤال :

ماء امرى من الإلتزام ، التعبير والالتزام في "مفسر" .  
مادام كل مهما مكن - يؤدى إلى "فن المنرم" ؟  
جواب : غور أن الإلتزام في "مفسر" قد لا يعكس رأيا  
خاصاً ، فالموقف هـ هو محدد الارتباط بموضوع لدات .  
كأن يعكس الأديب أو الفنان على تصوير طفله مسة من

طبقات الآراء لا يجيد عنها . ولكك لا تلمس من خلال  
هذا التصبر والحقن هذه ابنة المعينة أى نجاح شخصي  
أو رأى خاص . . . أعنى أى تفسير بعينه

في حين أن الالتزام في التفسير لا يتقيد بالموضوع .  
ولكنه يتقيد بالرأى والأديب أو الفنان هما يعالج الموضوعات  
المختلفة ونصوص الطبقات المتناوبة ، ولكك تخرج من أعماله  
كلها بتفسير خاص أى برأى وموقف وبانجاء . . .

وكا قلنا : حيث يوجد الرأى توجد المسؤولية . .  
ولكن المسؤولية ، كما عرفنا ، لا تنبع إلا من الحرية لأن  
المقيد غير مسئول

فكيف ، وفق إذن ، بين الالتزام والمسؤولية والحرية ؟ ..  
لا يمكن التوفيق إطلاقا إلا إذا كان الرأى رأك أنت ،  
والالتزام به نابعاً من طبيعتك أنت . كما سبق أن قات لك ..  
أى أن الرأى والالتزام يجب أن يكونا صادرين من صميم  
حريتك ، لم يكون مسئولاً عنها مسئوليتك عن حريتك .

مستولا أمام مر ؟ . أمام نفسك وحدها التي منها خرج  
الرأى حرا ..

وهاهاكل الجوهر في كيان الفكر الحر .

الرأى رأيه ، ومسئوليته أمام نفسه .

وإذا كان الرأى صادرا من سلطة العمل أى سلطة الحكم ؟  
وكانت المسئولية أمام هذه السلطة أيضا ؟ فما هو القول ؟  
لاقول سوى أن « الفكر » ، مسئولياته يكون عندئذ قد  
مضى جانبا ، ليقوم « العمل » ، وحده بالاعناء والتمعات . ولقد  
قلتها فيما سبق : أن أزمة العالم اليوم مردها أن سلطة العمل  
قد اغتصبت المسئولية الكاملة في إدارة دفة الدنيا وتوجيه  
مصائر البشر .

ما من أحد اليوم يستطيع الرعم بأن « الفكر » الحر ، هو  
الذى يوجه عالما الحاضر . لقد اضطهد علماء الدرة الدين  
رفضوا الرضوح لأوامر السلطات الحاكمة ، رغبة منهم في  
انقاذ البشرية ، ونزولا على حكم مسئولياتهم أمام أنفسهم .

وخصائهم .

أما بقية العلماء والمكرين فقد أذعنوا وسابروا وحاووا .  
في كل دول الأرض نحو سلطة العمل متعامدة متحدة في  
وضع واحد . هو إخضاع الفكر لخدمة أغراضها .

هذا لا تعاد وانعكاس من جانب العمل ، يقابله اختلاف  
واذ شقاق في جانب الفكر .

ماذا لو استطاع العمل ، في كل أمم العالم أن يحدد  
ويعتزم بيوجده سلطانة وبقول كلمته الحرية في وضع المشيئة ،  
ويحمل مسئولية مهمته وحدها ، ويرفض في وقت واحد .  
في كل رقعة من الدنيا ، أن يتعاون مع سلطات العمل فيما  
يعتقد ويقرر أنه ضرر بمصلحة الآدميين والآسياء .

ماذا لو وقف المكر كله في الدنيا كلها ضد الموقف  
الموحد ؟ ترك التقدير للذات . . .

من هنا جاء اصرارى على احتفاظ سلطة الفكر بحريتها  
واستقلالها تجاه سلطة العمل . وقد طقت هذا المبدأ حتى الآن  
على شخصى تطبيقاً صارماً . فانسدت عن محيط السياسة  
العملية ، ورفضت الانضمام الى الأحزاب "سياسية" واعتبرت  
المفكر كالراهب ، مسووحه هي حريته . ونحدثت عن البرج  
العاجى والاعتصام به . ولم اقصد بذلك طبعاً العزلة عن الحياة  
والانفصال عن المجتمع كما فهم البعض خطأ . ولكى قصدت عزل  
رجل الفكر عن السياسة الحزبية حتى لا يستخدم آلة مسخرة  
في ايدي رجالها ، فيفقد بذلك حرية النظر الحر الى الاشياء .  
هذا الإصرار منى ، على الرغم من الظروف المواتية  
التي عرضت لى مراراً للاخراط فى ملك حزب .  
والوصول به الى السلطان العملى ، قد بلغ احبانا حد العلو  
والإعراق . ولكن الفكرة التي استولت على رأسى ، ولم

نزل . هي ان مسئلة المفكر الحر الحقيقية انما هي امامه  
نفسه وحدها لا امام حزب من الاحزاب ولا حاكم من  
الحكام . وان المفكر الذى يترك مكانه لينضوى تحت لواء  
سلطة العمل الممثلة فى حزب أو حكم هو مفكر هارب من  
رسالته . وان هذا الهروب إلى معسكر السلطة والحكامين  
هو الذى جرد المفكر من سلطانه ، وجعل منه تابعا لا منبرعا .  
ولم يحظر فى الى فط ان اعرض المفكر عن اى نشاط  
سياسى أو اجتماعى . فالعزلة التى دعوت اليها هي العزلة عن  
السياسيين لا عن السياسة ، وعن الاحزاب لا عن المجتمع .  
فالمفكر فى كل ألوانه من ادب وقصص ومن يحب فى نظرى  
ان يعنى بكل ما يحرى فى مجتمعه وعصره من شئون الساسة  
والاجتماع . لانه ما دام يعنى بالبشرية ، وما دامت البشرية  
متصلة بالسياسة والمجتمع . فلا بد للمفكر أو الاديب أو الفاعل  
ان يعيش عصره كله ومجتمعه كله بما فيهما من شئون سياسية  
 واجتماعية . لان تلك هي البشرية . وفى كتي : تحت شمس

الفكر ، و شجرة الحكم و تأملات في السياسة ،  
و دراكسا أو مشكلة الحكم ، الخ .. خلاصة وافية  
لموقفي من السياسة والمجتمع .

قال أحدهم ان موقفي م يتحد وصفاً عميقاً .

وهذا صحيح . لأن هذا بالذات هو مذهبي . فدهي  
يرفض رفضاً قاطعاً ان يغير الفكر صوته ، وان يقد عملاء .  
وإني حتى الآن لم أفقد الأمل في قوة الفكر . اعتدود  
سلطة مستقلة لها معلوماتها الخاصة وصفاتها الدائمة . وعدم  
إفقد هذا الأمل ، سألتبس في الحال المعوية صاعراً لدى  
العمل . . . وعدت أسير في اتجاه حصص المذاهب الأدبية  
والفنية التي حصصت للعمل و اندمجت فيه ، فأصبح من أسير  
عليها أن تنفض عنها حصص عدل يدعاية أو التسخير ليد خلق  
بها بالباطل أو بالحق . . .

قد نسألني إلى أي مدى يستطيع تفكير المنسقر أن يؤثر  
في "عمن" ؟ . . .

ما من شك عدى في أن الفكر المستقل يؤثر إلى مدى  
بعيد في العمل... أبعد بكثير من أثر الفكر المدع  
أو الخاضع للعمل .

لأن الفكر المدع أو الخاضع يصبح حزبا أو تابعا في  
محط الحكم السياسي . وذلك بمقد هيبته وكلية لا في نظر  
الأحزاب الأخرى ، بل في نظر حزبه نفسه أحيانا . فلا  
يسمح له بالتوجيه أو بالإيحاء . من يتلقى تعليمات رؤساء  
العمل لا يسر بمقتضاها . . .

قد تسأل بعد ذلك : هل كان لموقعي المستقل أثر في  
العمل ؟ .

الحقيقة أني لا أستطيع أن أحيب بنفسى إجابة قاطعة فمن  
تفسير على أن أعرف أثر كنهه في الغير على وجه عام .  
ولا اعتقد أن كتاب مثل يوميات نائب في الأرياف ، كان  
له أثر مباشر في إصلاح بعض ما أدره من عيوب  
الحكم ونقصه ، إلا أنه في أريف . وإن كنت أعلم أن



كثيراً من رجال الدولة قد طالعوه .

على أن رأيي دائماً في رجال الفكر والأدب وافرأهم  
ليسوا مطالبين بالإصلاح المباشر إن مهمتهم الحقيقية هي أن  
يعدوا ويهينوا رجال العمل والدولة والحكم للقيام بالإصلاح  
لقد قلتها يوماً في كتاب لي : « إن الأديب أو الفنان ليس  
مصلحاً ، ولكنه مصلح المصلح »

غير أن استطيع رغم ذلك أن أقول في رأيت مرة أن  
مباشراً لكنه بقي في أمر من أمور المجمع فقد كانت ذات  
يوم اقترح إنشاء وزارة لشئون المجمع كما اقترحت أسماء  
وزراء بالذات من بين الموظفين الأكفاء ، ثم انقضى شهر  
حتى تقلد الحكم رجل من رجال الدولة ففقد الاقتراح  
وانشأ وزارة أطلق عليها اسم وزارة الشؤون الاجتماعية .  
واختار عين الموظفين الذين اقترحتهم ، وزراء في حكومته .  
كيف تم هذا ؟ لا ريب أن استقلال الفكرى يسر كل  
ذلك ولو أني كنت كاتباً حربياً لم أوحى هذه الفكرة

ولكانت اسما الذين اقترحهم محل طون ، ولكن الاقتراح  
كله موضوع - حرية متحدية وريية مستعلية . ان « العكر »  
المستقر الحر يستطيع دائما ان يكون سلطة هامة معادلة  
وموارة لسلطة « العمل » . وفي هذه الحالة يكون في مقدور  
« المسكر » ان يصح قوة دافعة وموجهة ومطورة لسلطان  
« العمل » .

هذا مذهب

قلت لك إن التعبير هو موهبة الخلق والأبداع .  
وإن التفسير هو الضوء الكاشف لوضع الإنسان .  
ولأوضح مرة أخرى هذا التعريف .  
إذا كنت تعبر عن الحياة ولا تفسرها ، فأنت أديب  
أوفمان .

وإذا كنت تملك تفسيراً للحياة ، ولأنك موهبة التعبير  
عنها ، فأنت أي شيء إلا الأديب أوفمان .  
وإذا كنت معبراً ومفسراً للحياة ، فأنت أديب أوفمان  
دورتي وموقف ونجده ، ومن ثم فأنت مؤثراً بطريق ماني  
التطوير والتوجيه .

هناك مع ذلك حالات يستطيع فيها التعبير وحده . إذا  
كان بالغ القوة ، أن يحدث أثراً موحها مطورا بطريق غير  
مباشرا .

كما أن هناك ، كما سبق أن أشرت ، حالات يفسد فيها التفسير  
روعة التعبير . إذا خرج عن حدود التماسق الفني ، وعندئذ  
يظلم تأثيرهما معاً . لأن الأثر الأدبي أو الفني يبدو عندئذ  
مفتعلاً افتعالا مضيقاً لجوهر وجوده وهو الصدق .

والمقصود بالصدق هنا هو الصدق الفني ، أي الشعور  
المبعث في نفسنا بأن الأثر الأدبي أو الفني قد ولد ولادة  
طبيعية . ولا يمكن ؛ لطبع أن تكون الولادة طبيعية إلا إذا  
خرج الأثر الأدبي أو الفني مناسقاً لأجزاء متناسبة لأعضاءه .  
فإذا طغى فيه جزء على جزء فإنه يعتبر مسحاً مشوهاً ، حتى  
وإن كان جميل الوجه .

من أجل هذا كله كان الشرط الضروري لحياة التعبير  
والنفسير معاً هو إيجاد التماسق والتناسق بينهما أي : التعادل .

قلت لك أيضاً إن سلطان الفكر يجب أن ينهض معادلاً  
لسلطان العمل فإما هو المقصود بالفكر هنا؟ هل هو العقل وحده؟  
هذه نقطة تحتاج كذلك إلى توضيح فالعقل المعادل والموازن  
للعمل إنما يشمل عندى القوى العقلية والقوى الروحية معاً .  
خصوصاً في نطاق الأدب والفن . وهذه مسألة تختلف فيها  
المذاهب الأدبية والفنية المعاصرة . فأكثرها يطرح لقوى  
الروحانية أو الدين ، ولا يستنق غير القوى العقلية يستند إليها  
وحدها كل عنصر نشاطه من ذلك وجودية سارتر ، والواقعية  
الاشتراكية ، وغيرهما من المذاهب التي يصورونها بالمادية  
لأنها تقصر قوى الفكر فيما على العقل بمطلقه وحده .

أما التعادلة وتطلق ، الفكر ، على قوتين هما العقل  
والقلب ، أعني المطلق ، و « الإيمان » ، باعتبارهما مسعين  
للمعرفة البشرية . لأن الحيوان الذي لا يعقل ولا يؤمن

لا يملك غير مسع واحد للمعرفة هو العريضة ، والحيوان  
لا يؤمن لآله . كما أشرت . لا يدرك معنى الأرقى .

فالإنسان : الكائن الوحيد الذي يدرك ويعي الأرقى ، إنما  
يتوسل إلى هذا الإدراك والوعي بوسيلتين : المنطق المبعث  
من "عقل" . و"لا" ، بالمسعت من القلب . الأول عكازه الدليل  
البين والآخر عكازه الشعور "خفي" .

ومادمت هاتان الوسيلتان قد منحنا للإنسان ، فلا بد  
أذن من نفاثتهما وتقويتيهما وإثباتيهما والبلوغ بهما أقصى حدود  
القدرة ، كل منهما في مجاله .

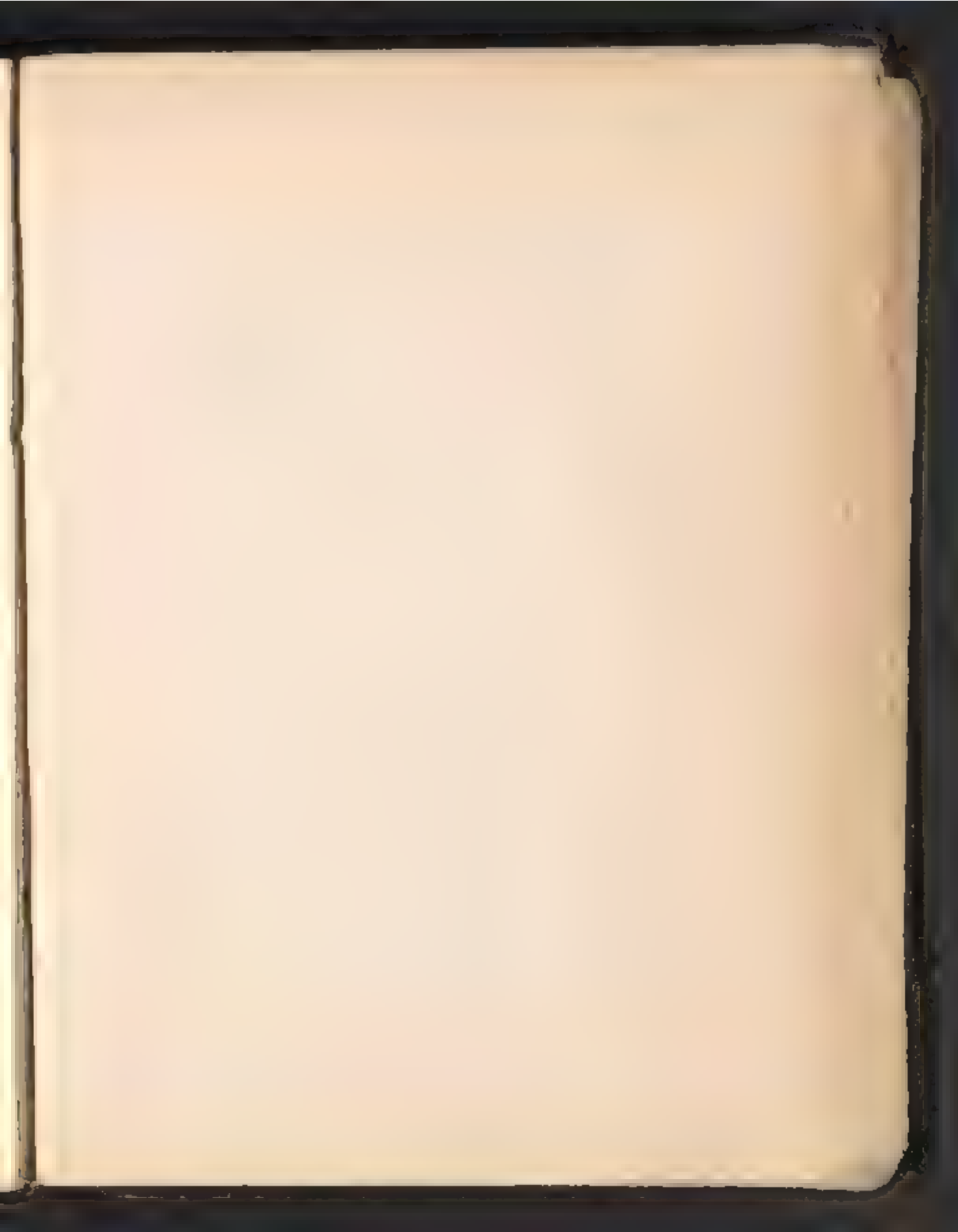
وقد سبق أن أشرت كذلك إلى أن الخلط بينهما عبث كما أن  
إحصاء كل منهما لمقومات غيره عبث أيضاً . فالعقل يجب  
أن يشك دائماً وبطال بالدليل . والقلب يجب أن يؤمن  
دائماً ويعني من الدليل . كل منهما يجب أن يجري في ذلك  
مستقل ، وفي مجال نشاط محدد ، فالقضاء على أحدهما  
لمصلحة الآخر تعطيل لإحدى ملكات البشرية . وتدخل

أحدهما لحق حرية الآخر عرقلة أيضاً لسير الإنسانية .  
والتعاضلية ترمى إلى نفع كل منهما موازناً للآخر ، كما  
يوازن كوكبان يدور كل منهما حول نفسه ، ثم يسيران بعد  
ذلك معاً إلى الأمام في عين المجرى . . .

ولقد سبق أن بينت في كتابي « تحت شمس المكر » ، في  
فصل بعنوان « مطلقه المآل » ، كيف أن العقل والأيمن يمكن  
أن يعيشا جنباً إلى جنب في كيان الإنسان ، دون أن يطغى  
أحدهما على الآخر ، أو يؤثر في أسلوبه وهدفه .

وبأشده لعقل ، مطلقه . وحرارة القلب وإيمانه ، يستطع  
الآدمي أن يحيا حياته الكاملة .

ولعل أزمة الحضارة الحديثة علتها كما قلت أيضاً أنها لم  
تحقق للإنسان حياته الكاملة فهو على الرغم من ألق العقل  
البشري على نحو لم يسبق له نظير ، يشعر سقم ، وهذا  
السقم ينبعث فيه الفلق ، أو على الأقل بعض هذا الفلق  
الذي أصبح من سمات هذا العصر الذي نعيش فيه .





والآن فلألخص لك التعادلية في هذه المبادئ الخمسة :  
أولاً - أنت تعادلى إذا كنت تعتقد . أن الوجود هو  
التعادل مع الغير . الأرض لا تكون بغير تعادلها مع الشمس .  
لا يوجد مخلوق وحده . كل كائن وكل صفة وكل حالة وكل  
وضع لا يوجد في عالم المحسوسات ولا في عالم المعاني إلا بالذات  
إلى غيره . لا بد من غيرك لتكون أنت . "تعادلية أدن تقوم  
على العبرية . والوجود التعادلى يتلخص في هذه العبارة :  
« بغير الغير لا يوجد وجود » .

ثانياً - أنت تعادلى إذا كنت تعتقد أن الفكر يجب  
أن يكون معادلاً للعمل . وأن مسئولية « الفكر » هي في  
حريته واستقلاله تجاه « العمل » .

وهذا بخلاف لرأى المذاهب التي ترى اندماج الفكر في  
العمل أو حصومه له . فالتعادلية متفقة مع الوجودية ومع الواقعية

الاشتراكية وغيرهما من المذاهب التي ترنكر على مسئولية  
المفكر في التوجيه والتطوير . ولكنها تختلف عنها في أنها  
تدعو إلى استعمال الفكر عن العمل ، ولا تبيح لرجل  
الفكر أن يدبح في العمل ، كما هو الحال في وجودية سارتر ،  
الذي عمل نفسه مع زملاء له على تكوين حزب سياسي ، كما  
عمل على موازنة أحزاب اليمين تارة وأحزاب اليسار تارة  
أخرى . كذلك لا تبيح التعادلة لرجل الفكر أن يجمع  
الفكر للعمل ، كما هو الحال في اللاد ذات النظم التي لا نسمع  
للفكر أن يتخذ رأيا أو موقفا لا يسير الاتجاه المرسوم .  
أنت إذن تعادلي إذا كانت مسئوليتك هي أن تجعل من  
المفكر قوة ، حرة بأداتها المستقلة وأسلوبها الخاص لتعدل  
وتوازن قوة العمل ، بأداته وأسلوبه .

ثانيا - أنت تعادلي إذا اعتقدت أن الخير والشر  
وضعا للإنسان . وإن الخير يجب أن يعادل ويوازن الشر  
وأن حزام الشر ليس الاقتصار من حرية لشخص . لأنه

لاموازنة بين الشر والحرية. إذ لا علاقة الت بينهما. إنما  
العلاقة هي بين الشر والخير. فإخراة إذن هو عمل خير  
يوارن ويعادل ما ارتكب من شر. كما أن الضعف والقص  
حالات لها كذلك ما يقدم من قوى معوضة معادلة. على  
الإنسان أن يستخرجها من مكانها في نفسها.

رابعا - أنت تعادلي إذا كنت تعتقد أن العقل يصفه  
وشكك يجب أن يعادل ويوازن القلب مشعوره وإيمانه أي  
أن الشك يمكن أن يعيش مستقلا موارنا للأيمان  
خامسا - أنت تعادلي إذا كنت ترى أن الأثر الأدبي أو  
الفني يجب أن يقوم على التعادل والوارن بين منه التعبير  
وقوة التفسير.

قد تسألني : ما هو مستقبل الفكر المعادل للعمل ؟  
وأقول لك متفلا إني أرى المستقبل كله له. لأن  
هذا هو الوضع الطبيعي. وإذا ك إلى هذا العصر الحاضر

يحد الفكر فامعاً للعمل أى السلطان ، فإن ذلك لن يكون في  
العد . فإنى أنبأ للمكر في العصور القادمة بقوة عظيمة تدع  
من دانه ، كما تدع الطاقة من ضوء الشمس . فتحرك بقوتها  
المركزة الذاتية مصائر البشر نحو الأهداف العليا التي يرسمها  
المكر ، بعيداً عن أغراض السلطان . . . . . ويكون له من  
النفوذ والايحاء ما يرد سلطة العمل إلى الصواب إذا  
أحرقت وجارت . . . . . دون أن يفقد صفته الخاصة فيقلب  
عملاً ، أو يتخذ أسلوب رجال السياسة فيصبح جدلاً .

\*\*\*

قد تسألنى كذلك : ما هو مستقبل التعادلية في علاج  
الإنسان فأقول لك متفائلاً أيضاً :

إن التعادلية باعتبارها مدهماً يقاوم الضعف والعجز  
والسحق والقبح ، بأيمانها بوجود القوى المعوضة الموازنة  
أى المعادلة ، وبأعلاها طريقة واضحة للمقاومة ، هي نهوض  
الإنسان ، سواء كان فرداً أو شعباً ، للكشف عن القوى

المعوضة المعادلة وإطهارها وتسميتها . . . هذا المذهب يلغى  
أثر الضعف والعجز ، عن طريق استخراج المعوض والمعادل .  
كل شعب أو مجتمع أو رجل أو امرأة أو فان أو عامل أو  
أديب الخ . . . يجب أن يسأل نفسه هذا السؤال ، إذا أحس  
من نفسه عجزا طبيعيا أو نقصا خطيرا : ما دمت عاجزا أضعيفا  
في هذه الحاجة ، فلا بد أنى قوى قادر في حاجة أخرى . . .  
ما هي ؟ . . .

لا يوجد إنسان ضعيف . ولكن يوجد إنسان يجهل في  
نفسه موطن القوة المعوضة .

قم وقاوم . . . وابحث عنها وكافح لأطهارها وتسميتها ،  
لمعادل بها عجزك وضعفك . . . يوم تهض الأنساية كلها  
تعم ذلك . كم من مناجم القدرة ستنفجر لتعوض عن  
مأسى العجز البشرى .



أما بعد . . . طأطن انى قد أوحزت لك موقفى فى خطواته  
الرئيسية . فاذا اردت تفصيلا فعليك ان تستخلصه بنفسك .  
وهذا ميسور لك اذا اعدت قراءة كتيبى على هذا الضوء .  
ولا أقصد بالطبع كل ما كنت . فامن كاتب يستطيع ان يتقيد  
فى كل اعماله بعين الفكرة . والا كان مجونا . فالجنون  
احيانا هو الجرد على فكرة معينة . ولكنى اقصد الكتب التى  
تحمل رسالة الكاتب . وهى التى يجب ان تقرأ قراءة  
مستكشفة . وهذا أمر لا يستطيعه كل القراء . ومن هنا كانت  
القراءة فى بعض الأحيان وما . بل اداء ايجابيا معادلا  
للكتابة . لأن القارئ المكتشف يخلق شيئا . . . شيئا  
موجودا من قبل ، ولكنه مجهول . وما قيمة الموجود ان لم يكن .  
معلوما ؟؟ شأن القارئ المكتشف للمعانى والاتجاهات  
شأن ارحالة المكتشف للجزر والقارات . انها مخلوقة قبل

وحده. ولكنه هو الذي أخرجه من ضباب يشبه العدم  
إلى نور أوجدها في نظر الناس. لذلك كانت نعمة الكتب  
قراءها. وآفة الكتب قراءها أيضاً. فمن القراء من يشبه  
البحار الخاهل الذي يسير بغير بوصلة ولا يعرف شماله من  
جنوبه، ولا يحسن إلا أن يبشر شراعه ويطلق في بحره على  
غير هدى، فإذا ضل لم يتم جهله، إنما أنهم البحر وخلوه  
من الخزر والشواطيء... وقد لا يضل. ولكنه يحول جولة  
حاطقة ثم يعود سريعاً ليقول أنه تنزه نزهة لا بأس بها،  
ولكنه لم يصادف ما يسترعى الالتفات. على أن هناك  
وعا من القراء أعجب من ذلك. هو من يقرأ الكتاب،  
لا يستخرج منه رأي المؤلف، بل ليطلق عليه رأيه هو وما  
يعتقده هو من نظريات في العسكر والأدب والفن فهو يطالع  
كتابك ليعرف هل أنت من رأيه؟ فهو لا يريد أن يعرف  
عك شيئاً ولكنه يطالبك أنت بشيء: هو أن تكون قد كتبت  
كتابك طمأنينة يده هو من موضوعات لم يخطر ببالك أن



تتناولها . هذا القارىء هو عكس المكتشف . فهو كالبحار  
الذى يخرج إلى البحر لا ليكتشف ما فيه من جزر ، بل ليقول  
بعد حوالته السريعة : كان يجب على البحر أن يبرز لنا على مقربة  
ما جزيرة صالحة للزراعة ، فيها ما جرم حديد وآبار بترول ،  
كل هذه الأنواع من الملاحين لا يمكن أن يكتشفوا  
شيئاً . لأنهم لا يعرفون ولا يريدون ولا يحاولون ولذلك  
يخرجون كلهم إلى البحار ويعودون منها ، ولا يقولون لك  
شيئاً نافعاً مشمراً عما شاهدوا .

هذا عدا صنفاً آخر من القراء يزيفون أفكارك عندما  
يستعصى عليهم فهمها على حقيقتها ، أو يعثون بها فتدوشيناغنا  
ضحلاً ، هو ولا شك من صنعهم هم ، لا من صنعك أنت .

وخير من هؤلاء جميعاً القارىء المتواضع الذى يحاول  
بكل أمانة وطيب لإرادة وحسن طوية أن يتابع أفكارك  
بصبر وعناية . وهذا يكفي . سواء نجح أو أحقق في فهم  
ما تريد ومثل هذا القارىء عادة لا يتحذلق ولا يتظاهر بعلم

ولا يلقى الكلام على عواشه ، إنما نعرفه جميعا من اختيار  
العاظه واتزان أحكامه .

جملة القول إذن أن القارىء المكتشف ليس بالقارىء  
العدوى . بل هو قارىء نادر لأنه وهب من صفات الصبر  
والهدوء وطول البال واساع وحسن التلقى وقلة الادعاء  
وحب المؤلف - وأقول حب المؤلف لأنك إن تستطيع  
أن تنحشم جهدا فى اكتشاف شئ ، لاتحبه - هذا القارىء  
وهب من هذه الصفات كلها فدرأ يؤهله لأن يكتشفك ...  
أى يعطيك أكثر مما يأخذ منك .

من يكتشف جزيرة ولو صغيرة يعطيها من القيمة فى  
نظر الزمن والوجود والتاريخ أكثر مما يأخذ منها .  
هذا القارىء هو خالق المؤلف .

نعم ... إنه هو الذى خاق أرسطو وأبا العلاء والخيّام  
وشكسبير .

هذا القارىء الخلاق الذى عندما يخطر له أن يكتب

ويدون اكتشف فيهم بسمونه ، الناقد ، أو على الأصح  
الناقد المفسر . هو : « خرسوف كولب ، الفن أو الأدب .  
لولا ما استطات الأجيال أن تعرف من مخلوقات الفكر  
البشرى هذه الملم والمسالك ...

القارىء المفسر هو أيضا من هذا الطراز ...

ولقد كنت أنت باقارنى المجهول دافعا إلى البحث عن  
حقيقتى ، بما أتته لى من هذه الأجابة التى أرجو أن يكون  
فيها بعض الجدوى .

إنك لم تذكر اسمك ... ما من أحد يعرفك ...  
ولكن قد يكون لك فضل فى تعريفى أنا إلى الناس ...  
وتحياتى إليك وشكرا ...



A.U.C

21 APR 1999

A.U.C

17 MAY 2001



10000118347



